بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي.

تفريغ دروس الأربعون النووية

شرح الشيخ رياض عصنوني حفظه الله

الدرس الأول من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (1)التاريخ: السبت 1440/3/8 هـ 2018/11/16 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن من نِعم الله علينا أن وفق الله شيخنا الفاضل أبا الحسن علي الرملي حفظه الله تعالى لإنشاء هذا المعهد؛ معهد الدين القيم الذي أسأل الله أن يجعله مباركاً تُنشَر فيه علوم الكتاب والسنة وأن يكون منارة من منارات العلم وأن ينفع به كما نفع بمؤسسه إنه جواد كريم، وبعد:

فقد طلب مني شيخنا حفظه الله أن أدرّس كتاب الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله، وقبل البدء أود أن أقدم بمقدمات:

- **أولها: هو سبب اختيار هذا الكتاب،**

اختير هذا الكتاب ليُبدَأ به في مادة الحديث، وكما لا يخفى عليكم حفظكم الله أن العناية بالسنة مهم جداً للمسلم فضلاً عن طالب العلم إذ هي وحي من الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ، [النجم/3-4]

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء/113]، قال الشافعي رحمه الله: [الحكمة - يعني في هذه الآية - هي سنة رسول الله ﷺ]،

فالعناية بحديث رسول الله ﷺ مهم جداً، وهو من الأمور التي يجب على طالب العلم حفظها وفهمها والعناية بها، من أجل ذلك فإن العلماء رسموا منهجاً لطالب علم الحديث، وضعوا له خطة يسير عليها ويتّبعها في دراسة هذه المادة وهذا العلم،

وكما هي العادة في كل فن أنهم يبيّنون لطالب العلم ما هي الكتب التي يبتدئ بها وكيف يتدرج في الفن، والعلماء ينصحون المبتدئ في هذا الفن بالبدء بالأربعين النووية التي هي كتابنا هذا؛ لأنه كما سترون إن شاء الله إن يسر الله تبارك وتعالى وأنهينا هذا الكتاب أنه كتاب صغير الحجم لكنه عظيم النفع يسهل على الطالب حفظه، وإن شاء الله سيكون حفظ الأحاديث إجبارياً لأن الذي يدرس الحديث لا يحسن به أن لا يحفظه فأقل شيء أن يحفظ الطالب الحديث ويحفظ أيضاً الأمور المهمة التي تُذكَر في الشرح كتعاريف الأمور وتقاسيم وسيأتي أمثلة على ذلك، هذا ما يتعلق بسبب اختيار هذا الكتاب.

- **المقدمة الثانية التي سنقدم بها، وهي: عن هذا الكتاب وعن سبب تأليفه،**

العلماء رحمهم الله الذين ألّفوا في حديث رسول الله ﷺ اختلفت مقاصدهم في التأليف،

- فمنهم من عُني بجمع صحيح الحديث،
- ومنهم من جمع الحديث وجعله على الأبواب الفقهية،
- ومنهم من جمعه على المسانيد،
- ومنهم من جمع الأحاديث التي تخص مسألة بعينها وهو ما يسمى بالأجزاء الحديثية،
- ومنهم من جعل قصده جمع أربعين حديثاً من حديث رسول الله ﷺ وذلك لورود حديث فيه فضل من حفظ أربعين حديثاً من أحاديث النبي ﷺ،

ومن هؤلاء العلماء الذين ألفوا في "الأربعينيات" كما تسمى: النووي رحمه الله،

لكن ننبه إلى أن هذا الحديث حديث ضعيف وقد بين ذلك النووي نفسه رحمه الله في مقدمة الأربعين وقال:[اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف - يعني لا يصح - وإن كثرت طرقه] وذكر رحمه الله أن سبب تأليفه له هو امتثاله وعمله بقوله ﷺ:[نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فبلغها من لم يسمعها......][1] الحديث، وقوله ﷺ:[ليبلغ الشاهد منكم الغائب][2]،

وذكر أيضاً أن ممن سبقه من العلماء من جمع أربعين حديثاً في الجهاد وبعضهم في الفقه وآخرون في الزهد وهكذا، أما هو رحمه الله فرأى أن يجمع أربعين حديثاً كلّيّاً، الواحد من هذه الأحاديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، والتزم رحمه الله الصحة في كتابه هذا، يعني التزم أن يجمع الأحاديث التي تصح فقط ولا يضم إليها الأحاديث الضعيفة إلا أنه لا يخلو عملُ غير معصومٍ من النقص، وسنبين إن شاء الله درجة كل حديث وما انتُقِد عليه فيها،

أصل هذا الكتاب - كتاب الأربعين - هو مجلس إملاء عقده الحافظ ابن الصلاح رحمه الله سماه "**الأحاديث الكلية**" أملى فيه الأحاديث الجوامع التي يقال إن مدار الدين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة كما بينه الحافظ النووي رحمه الله في كتابه "**بستان العارفين**"،

اشتمل مجلس ابن الصلاح هذا على ستة وعشرين حديثاً وزاد عليها الحافظ النووي رحمه الله ستة عشر حديثاً آخر فأصبح المجموع اثنين وأربعين حديثاً وسميت بـ"**الأربعون النووية**" يعني تجوّزاً؛ لأن العرب من عادتهم أنهم يلغون الكسر ولا يذكرونه، يعني لا يقولون: اثنين وأربعين، يقولون: الأربعون،

- شيء آخر يتعلق بالمتن:

1

2

وهو أن الحافظ ابن رجب رحمه الله حين طُلِب منه شرح هذا الكتاب رأى أن يزيد على هذه الاثنين والأربعين، أن يزيد عليها ثمانية أحاديث كلية،

لماذا زادها؟ قال ابن رجب رحمه الله أن من شرح الكتاب قبله - يعني قبل ابن رجب - تعقّب النوويَّ رحمه الله تركه لها وعدم ذكره لها، يعني لأنها أحاديث كلية فهي من شرط الكتاب، فأصبح المجموع خمسين حديثاً، وسنشرح الخمسين إن شاء الله إن يسّر الله ذلك،

لذلك تجدون في بعض النسخ من يضيف الأحاديث التي زادها ابن رجب إلى أحاديث النووي رحمه الله.

- **المقدمة الثالثة: وهي ما يتعلق بالمصنف رحمه الله،**

فلا بأس أن نذكر شيئاً عن النووي رحمه الله لا على سبيل الاستيعاب ولكن شيء مختصر من سيرته رحمه الله،

- فهو: يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي،
- **لُقّب** بـ"محيي الدين" وصح عنه رحمه الله أنه قال: [لا أجعل في حل من لقبني بذلك]،
- **كنيته**: أبو زكريا،
- **ونسبته**: النووي، ويقال أيضاً: **النواوي**، نسبة إلى "نوى"، وهي من أعمال دمشق، حكى ابن العطار رحمه الله وهو من تلاميذ النووي أنه أخبره عن نفسه أنه كان يقرأ كل يوم اثنا عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً،

فانظروا إلى الهمة التي كانت عند النووي رحمه الله، في حين أن الواحد منا الآن أو في زماننا هذا لا يكاد يجلس ساعة يطلب فيها العلم،

- كان النووي رحمه الله معروفاً بكثرة عبادته وورعه وزهده في هذه الدنيا رحمه الله،
- وكانت له مؤلفات كثيرة في فنون عدة،

- فألف في اللغة كتاب: "**تهذيب الأسماء واللغات**"
- وفي القرآن: "التبيان في آداب حملة القرآن"،
- وألف في الفقه وفي الزهد وله مصنفات في الفقه كـ"روضة الطالبين" و"المجموع شرح المهذب" وغيرها مما يعتبر العمدة للكثير من علماء الشافعية،
- وله في الحديث أيضاً "رياض الصالحين" إضافة إلى كتابنا هذا،

ورياض الصالحين كتاب جعل الله له القبول في الارض ولا يكاد بيت ولا مسجد يخلو منه،

- نقطة أخيرة تتعلق بالنووي رحمه الله وهي ما وقع فيه من أخطاء في العقيدة،

فكما لا يخفى عليكم حفظكم الله أن النووي كان أشعرياً في باب الصفات وكانت له تأويلات لنصوص

الصفات رحمه الله وغفر له، لكن لا ينبغي أن يكون هذا سبباً للطعن فيه ولا لحرق كتبه كما دعا إلى ذلك طائفة ضالة لأنه ما حصل منه وما وقع فيه كان عن اجتهاد منه وكان قد بذل وسعه في معرفة الحق لكن قدّر الله وما شاء فعل، البيئة التي عاش فيها والمشايخ الذين أخذ عنهم كانوا كلهم أشاعرة،

وأنقل لكم كلاماً للشيخ صالح الفوزان حفظه الله حين سئل عن الموقف الصحيح من العلماء الذين اجتهدوا وأخطأوا في باب الصفات فقال حفظه الله،

قال: [ثالثًا: من كان عنده أخطاء اجتهادية تأوَّل فيها غيره كابن حجر والنووي، وما قد يقع منهما من تأويل بعض الصفات لا يحكم عليه بأنه مبتدع، ولكن يُقال: هذا الذي حصل منهما خطأ ويرجى لهما المغفرة بما قدماه من خدمة عظيمة لسنة رسول الله ﷺ، فهما إمامان جليلان موثوقان عند أهل العلم] انتهى من "المنتقى" من فتاوى الشيخ حفظه الله،

- توفي النووي رحمه الله سنة ست وسبعين وستمائة (676) هـ،

وعمره خمس وأربعون سنة،

انظروا إلى الكتب التي تركها والخدمة العظيمة التي خدم بها سنة رسول الله ﷺ ودين الله عز وجل و أسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه وأن يوفقنا للانتفاع مما خلفه هو وأمثاله من العلماء من هذه الخدمة العظيمة.

نأتي الآن إلى الحديث الأول،

قال رحمه الله: **(عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه]،**

رواه إماما المحدثين:

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: في كتابيهما الذين هما أصح الكتب المصنفة)

هذا الحديث من ناحية الإسناد تفرد بروايته يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر رضي الله عنه، ولا يصح من غير هذا الطريق كما قاله ابن المديني وغيره، ثم رواه عن يحيى بن سعيد جمٌّ غفيرٌ من الرواة أو صله بعضهم إلى مائتي راوٍ، لكن حسب ابن حجر قال أنه تتبع طرقه فلم يبلغوا المائة،

المهم أنه اشتهر بعد يحيى بن سعيد، لذلك يقول بعض العلماء فيه، قال إنه مشهور بالنسبة إلى آخره

غريب بالنسبة إلى أوله، ومن قال هذه العبارة هو ابن دقيق رحمه الله،

افتتح النووي رحمه الله كتابه بهذا الحديث وكذا غيره من العلماء ممن صنف في جمع حديث رسول الله ﷺ كالبخاري رحمه الله وعبدالغني المقدسي في "**عمدة الأحكام**" والبغوي في "**شرح السنة**" وغيرهم من العلماء وذلك لأن هذا الحديث حديث عظيم، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام،

قال عنه الشافعي رحمه الله: [هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين باباً من الفقه]

وقال الإمام أحمد رحمه الله عنه: أصول الإسلام ثلاثة أحاديث:

- حديث عمر – وهو حديثنا هذا –
- وحديث عائشة: [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد]
- والحديث الثالث حديث النعمان بن بشير رحمه الله: [الحلال بين والحرام بين...]،

وسيأتي أيضاً إن شاء الله بعد حديث ابن مسعود،

وزاد إسحاق بن راهويه حديثاً رابعاً عدّه من الأحاديث التي عليها مدار الدين وهو حديث ابن مسعود، حديث الصادق المصدوق،

وسيأتي إن شاء الله في هذه الأربعين،

المهم أن العلماء عدوا هذا الحديث حديث عمر حديث الأعمال بالنيات، عدوه من الأحاديث التي عليها مدار الدين، ولذلك قلنا بأن الكثير من العلماء صدّروا به كتبهم، ومن لم يؤلف في الأبواب كما سيأتي قال لو ألف في أحاديث رسول الله ﷺ لابتدأ بهذا الحديث كتابه، والعلماء كثرت عباراتهم في الأحاديث التي عليها مدار الدين، وكما قلنا أنهم اتفقوا كلهم على أنه - يعني هذا الحديث - حديث مهم لأن موضوعه النية، وكما سيأتي أن عليها يدور قبول العمل من ردّه، وهي أحد شروط قبول العمل، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله كما قلت: [لو صنَّفت كتاباً لبدأت أوَّل كلِّ باب منه بهذا الحديث] لأن تصحيح النية أمر مهم جداً لطالب العلم ولكل مسلم.

قوله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات):**

اختلف العلماء في تقديره:

- فقالت طائفة من العلماء: مراده أن الأعمال واقعة أو حاصلة بسبب نياتها وأنه ما من عمل إلا وله نية وأن النية هي الباعث عليه،

وقدروا قوله ﷺ بعدها: **(وإنما لكل امرئ ما نوى)** قالوا معناه: أن المرء مُثاب على نيته، إن صلحت أثيب عليها وإلا فلا ثواب،

- وقال غيرهم- وهو القول الثاني في هذا الأمر- أن الأعمال معتبرة شرعاً بالنيات فصلاح الأعمال وفسادها بحسب نية صاحبها

(وإنما لكل امرئ ما نوى): يعني أنه لا يثاب إلا على ما كانت نيته فيه لله وأنه يعاقب على ما فسدت نيته فيه،

وهذا القول الأخير هو القول الصحيح؛ لأن المراد من كلام رسول الله ﷺ هو بيان الحكم الشرعي في هذه الأمور لا بيان الواقع،

فالذي قدر أن الأعمال كائنة أو حاصلة بسبب نياتها هم يتكلمون عن - يعني - قدّروا ما هو كائن أو واقع، فالأعمال الاختيارية للإنسان التي يفعلها باختياره أكيد أن لها نية لكن ليس هذا المراد من كلام النبي ﷺ، النبي ﷺ يريد أن يبين لنا أن الأعمال مقبولة أوقد تكون فاسدة بحسب نية صاحبها، وهذا هو الصحيح، فيكون التقدير، تقدير قوله ﷺ:**(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)** تقديره: إنما الأعمال - يعني صحة وفساداً - بسبب النيات، وإنما لكل امرئ من عمله - يعني ثواباً وأجراً - ما نواه،

- فالجملة الأولى تتكلم عن النية باعتبار المنوي أي العمل،
- والثانية تتكلم عنها باعتبار المنوي له أو المقصود بالعمل،

يعني أهو الله سبحانه وتعالى وحده أم الدنيا؟،

هذا ما يتعلق بمعنى الجملتين،

الأمر الثاني الذي يتعلق بهذا وهو: ما المراد بالأعمال هنا؟

الأعمال يراد بها الأعمال الشرعية المفتقرة إلى نية، أما ما لا يفتقر إلى نية كإرجاع المظالم وأنواع التروك وتطهير النجاسات وغيرها فلا يدخل في لفظة الأعمال،

وأيضاً العادات كالأكل والشرب وغيرها هذه لا تدخل، اللهم إلا إذا أصلح الإنسان نيته وقصد بهذه الأمور التي هي عادات كالأكل والشرب، قصد بها التقرب إلى الله،

فمثلاً الإنسان إذا أكل أكلة ونوى بها التقرب إلى الله، يعني نوى بذلك أنه بهذا الأكل يتقوى على طاعة الله فيكون هنا مأجوراً على أكله هذا،

كذلك من نام مثلاً ويريد بهذا النوم مثلاً التقوي على قيام الليل مثلاً في نهار رمضان، الإنسان قد ينام جزءاً من الزمن وينوي بذلك أنه يتقوى على قيام الليل في الليل فإنه يؤجر إن شاء الله على نومه ذلك فالثواب فيه يتوقف على هذه النية، هذا أمر،

أمرٌ آخر: أن قوله: **(الأعمال)**: يدخل فيها الاعتقاد والقول والعمل، وليس المراد فقط منها الأعمال، فيدخل فيها اعتقاد الإنسان والقول والعمل، أي كل ما يصدر عن المكلف،

أما النية: النية في اللغة هي: القصد،

وشرعاً: هي العزم على فعل العبادة تقرباً إلى الله، ومحلها القلب، لماذا؟

لأن النية كما قلنا هي عزم القلب وقصد القلب على فعل العبادة، فالقلب هو محلها فلا يصح التلفظ بها خلافاً لما يفعله بعض العامّة وخلافاً أيضاً لما يُنقَل عن بعض الفقهاء من استحباب التلفظ بها خاصة عند الصلاة يقولون: يستحب التلفظ بالنية،

يقولون: اللهم نويت صلاة كذا وكذا وهي أربع ركعات..... إلى غير ذلك،

فهذا غير صحيح وهذا لا دليل عليه ولم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عليهم ولا من بعدهم من السلف يعني من القرون المعتبرة لذلك عده العلماء، عدوا هذا التلفظ بالنية بدعة،

ومما ينقل في هذا الباب قول أبي داود للإمام أحمد: أتقول بأن قبل التكبير شيئاً؟ يعني يقصد بالتكبير تكبيرة الإحرام في الصلاة، فقال له الإمام أحمد: لا،

والنية شرعاً تتعلق بأمرين،

1- **تتعلق بالعبادة**
2- **وتتعلق بالمعبود،**

- **فأما القسم الأول منها وهو ما يتعلق بالعبادة:**

فهي التي يستعملها الفقهاء في كتبهم وهي التي معناها هو تمييز العبادات بعضها عن بعض، مثل النية التي ينوي بها الإنسان عند إرادته الصلاة، فمثلاً يعني إن كان سيصلي صلاة الظهر مثلاً فيقصد بقلبه أنه سيصلي الظهر وكذا إذا أراد أن يصلي العصر فيقصد بقلبه أن يصلي العصر، فهذا المراد بهذه النية وبهذا القسم من النية، وهذه النية هي التي تميّز العبادات كما قلنا بعضها عن بعض وتميز أيضاً العبادات عن العادات، فمثلاً إنسان أراد أن يغتسل فما الذي يفرق بين اغتسال التبرّد واغتسال العبادة؟ هي نية الإنسان،

- **أما القسم الثاني منها وهو ما يتعلق بالمعبود**، فنقول أيضاً:

هذه النية هي التي تميز المقصود من العمل أهو الله وحده أم الله وغيره؟،

وهذا القسم هو الذي يُتكلَّم عنه في باب الإخلاص، يقال إخلاص العمل أي أن النية لا بد أن تكون لله عز وجل وحده، وجاء الكلام عنها في الكتاب والسنة ويعبَّر عنها بلفظ النية ويعبر عنها أيضاً بلفظ الإرادة ويعبر عنها أيضاً في القرآن أيضاً بلفظ الابتغاء،

قلنا بأنه يعبر عنها بالإرادة في مثل قول الله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ

﴿ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود/15] فقال: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ﴾ يعني نيته وقصده هي الحياة الدنيا، وقال أيضاً الله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف/28]

وقلنا أنه يأتي أيضاً التعبير عنها بلفظ الابتغاء كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [البقرة/272]

أتى التعبير عن النية بلفظ الابتغاء،

استعمال لفظ النية بهذا المعنى بمعنى إرادة الإنسان وبمعنى المراد من العمل

وقلنا: المعبود، جاء استعمالها أيضاً في كثير من كلام السلف، يعني مثاله ما جاء في قول ابن المبارك: [رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية] والنية هنا هي قصد العامل من عمله، يعني أقصده الله تبارك وتعالى أم يقصد الدنيا بعمله؟

فعلى ما سبق حديثنا هذا يشتمل على النوعين:

يشتمل على القسم الذي قلنا أن معناه تمييز العبادات عن بعضها البعض

ويشمل القسم الذي قلنا أنه يأتي بمعنى الإرادة والابتغاء وأنه بمعنى الإخلاص،

فقوله: **(إنما الأعمال بالنيات)**

أي أنها تقع صحيحة أو مقبولة بحسب النية،

(وإنما لكل امرئ ما نوى):

فإن نوى بعمله الله تبارك وتعالى والدار الآخرة كان له ذلك وإن كانت نيته الدنيا فيكون عمله فاسداً، فالقسم الأول يعني أن الأعمال بالنيات وأن النيات قد تكون هي المصححة للعمل وإن كانت النية فاسدة فالعمل يكون مردوداً، فيكون هذا هو المراد، فإذا تقرر هذا الأمر يمكننا أن نرجع إلى كلام الإمام أحمد السابق، وقد نقلنا أن الإمام أحمد قال: [أصول الإسلام ثلاثة أحاديث] وعد هذا الحديث وحديث عائشة وحديث النعمان، وذلك لماذا؟ لأن الحديث كله مبني على فعل المأمورات وترك المحظورات والتوقف عن الشبهات وهذه الأمور كلها يتضمنها حديث النعمان، لكن لا بد من أمرين آخرين، ما هما؟

الأول: أن تكون نيتك وقصدك من العمل والعبادة تكون هي ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى وأن يكون عملك هذا خالصاً لله تبارك وتعالى لا رياء فيه، وهذا جاء في حديث عمر،

والأمر الثاني هو أن يكون عملك وعبادتك يكون موافقاً للسنة سواء كان فعلاً أو كان تركاً، لا بد أن يكون هذا موافقاً للسنة، يعني أن يكون لا بدعة فيه، وهذا ما تضمنه حديث عائشة.

وهنا مسألة تتعلق بهذا الأمر يذكرها العلماء وهي:

ما حكم العمل إذا خالطه الرياء؟ أو إذا قصد به صاحبه غير وجه الله تبارك وتعالى أو خالطه قصد غير وجه الله تبارك وتعالى؟

فالجواب عن هذا أن يقال أن هذه المسألة فيها تفصيل ولها حالات:

- **الحالة الأولى: أن يكون المراد بالعمل غير الله تبارك وتعالى،**

يعني من أصله، يعني تكون النية الباعثة على هذا العمل هي غير وجه الله عز وجل، يكون الباعث عليها هو الرياء، فيكون هذا العمل رياءً محضاً، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة أو الصيام، وقد يصدر منه في الصدقة أو الحج أو غيرها من الأمور الظاهرة أو المتعدية، وحكم هذا العمل إذا كان بهذه النية أنه حابط وأن صاحبه على خطر عظيم إذ الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء/48]

ويقول النبي ﷺ: [يقول الله عز وجل - في الحديث القدسي -: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه] الحديث خرّجه مسلم، وهذه الحال الأولى،

- **الحالة الثانية: هي أن تكون نية العامل لله،**

أن يبتدئ العمل وتكون نيته الأصلية هي أنها لله تبارك وتعالى ثم يطرأ عليه الرياء في أثناء عمله فإن كان هذا الرياء الطارئ قد يكون خاطرة ووسواساً ويدفعه الإنسان لا يسترسل معه فهذا لا شيء عليه إن شاء الله، لكن إن استرسل معه واستمر معه هذا الرياء فهنا اختلف العلماء في هذا العمل، يعني أيحبط جميع العمل أم لا؟

فذهب الإمام أحمد وابن جرير الطبري إلى أنه لا يحبط وأن هذا المرء يجازى بأصل نيته، وقالوا: ولكن يشترط شرط أن يكون هذا العمل يرتبط أوله بآخره يعني كالصلاة والحج والصيام، أما ما لا ارتباط فيه كقراءة القرآن أو الذكر أو الإنفاق فإنه ينقطع بهذه النية الطارئة وصاحبه يحتاج إلى تجديد النية حتى يقبل عمله،

ومن العلماء من قال بخلاف هذا القول وقال أن الإنسان إن طرأت عليه نية الرياء في أثناء عمله فإنه يُنظَر إن أخذ هذا الرياء محل النية الأولى وأصبح يعمل فقط لهذا الذي يرائيه فهنا يحبط العمل،

ويقولون أما إن كان هذا المرء يستصحب النية الأولى ويزيد فقط في عمله من أجل هذا الذي يرائيه فيحبط فقط هذا الذي زاده من أجل هذا المرائي،

يعني مثاله أن يكون إنسان شرع في صلاته مثلاً ثم نظر فإذا أحد من له قيمة عنده دخل مكان صلاته

سواء كان مسجد أو غيره كأن يدخل عليه شيخ أو يدخل عليه طالب علم أو يدخل عليه إنسان له قيمة عنده، فماذا يفعل؟ فيزيد، إن كان يقول ثلاث تسبيحات في صلاته فيزيد فيقول خمس أو ست أو غيرها، إن كان يقرأ بالفاتحة وسورة قصيرة سيقرأ بالفاتحة وسورة طويلة لأجل رؤية هذا الإنسان، وإن كان يقرأ قراءة عادية فإنه يبدأ مثلاً يحسن صوته من أجل رؤيته لهذا الإنسان من أجل أن يُعجَب به،

فيقولون هنا كما قلنا: إن كان هذا الرياء قد أخذ محل نيته الأولى وأنه أصبح فقط يعمل من أجل هذا الإنسان فهنا يحبط كل العمل أما إن كان يستصحب نيته الأولى ولكن يزيد قليلاً من أجل رؤية هذا الإنسان فهنا يحبط فقط أجر الشيء الذي زاده رياءً، والله أعلم،

- **الحالة الثالثة: هي أن يعمل العمل لله ويتم عمله لله ثم يلقي الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين فيفرح هو بذلك،**

يعني يسمع ثناء الناس عليه جراء هذا العمل الصالح الذي فعله فيفرح بذلك، فهذا لا يضره إن شاء الله، ويستدَلّ له بحديث أبي ذر عند مسلم أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه فقال: [تلك عاجل بشرى المؤمن]،

بقي أمر يتعلق بالأعمال وهو أنها تنقسم إلى أعمال لا يجوز أن يراد بها الدنيا وأنها لا بد أن تكون خالصة لله تعالى وأن من أراد بها غير الله تبارك وتعالى فهو مشرك كالصلاة والصيام وغيرها فهذه لا يجوز أن يراد بها غير الله تبارك وتعالى،

القسم الثاني: وهي الأعمال التي رغب بها الشارع وحض عليها بذكر ثواب دنيوي عليها كصلة الرحم مثلاً، فقد قال ﷺ: [من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه]

فمن أشرك هنا في نيته وأراد بالصلة الأجرين الأخروي والدنيوي معاً فلا يكون مشركاً بذلك لأن الشارع أباح له ذلك، أباح له أن تكون له نيتّان، لكن يجدر التنبيه إلى أن من لم يطرأ على نيته الأجر الدنيوي وكانت نيته خالصة لله في ذلك فهو أعظم أجراً من الأول،

ومما يدخل أيضاً في هذا القسم أن من توضأ وأراد الطهارة والتبرّد معاً، يتوضأ الإنسان ويريد بذلك أن يتطهر ويريد أيضاً أن يتبرد مثلاً لشدة الحر فأكثر العلماء على جواز ذلك وإن كانت نيته ليست الطهارة فقط بل خالطتها نية أخرى، فأكثر العلماء على جواز هذا الأمر لأن قصد هذا الإنسان ليس بمحرم ولا مكروه، يعني قصده مباح، وكذلك أيضاً من قصد مع وضوئه تعليم الناس أجازوا له ذلك فقد كان النبي ﷺ يقصد بالصلاة أحياناً تعليم الناس وكذلك فعل في الحج كما في قوله ﷺ: [خذوا عني مناسككم]، هذا ما يتعلق بمبحث النية والأعمال وأحوالها، وقد حاولت اختصار الكلام بقدر الاستطاعة.

أنتقل الآن إلى ما تبقى من الحديث وهو قوله ﷺ: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)

هنا النبي ﷺ يضرب لنا مثالاً لما سبق، مثالاً لمن كانت نيته الله تبارك وتعالى ولمن كانت نيته غير الله تبارك وتعالى،

والهجرة: لغة: مأخوذة من الهجر وهو الترك،

وشرعاً: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام،

وحكمها أنها واجبة في حق من لم يستطع إظهار دينه،

يعني لا يجوز له أن يمكث في بلد الكفر أو في بلد الشرك إن لم يستطع إظهار دينه وإظهار شعائر دينه،

أما من استطاع فحكمها أنها مستحبة في حقه، وقوله ﷺ: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله)

معناه أن من كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصداً فهجرته إلى الله ورسوله ثواباً وأجراً،

وفي قوله بعدها:(ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)

يعني من كان ظاهره أنه مهاجر في سبيل الله وتارك بلد الشرك إلى بلد الإسلام، هذا ظاهره، لكن حقيقة أمره أنه يهاجر إلى دنيا، أنه يريد تجارة، يريد منصباً، يريد أمراً من أمور الدنيا أو أنه يريد امرأة يتزوجها وهي توجد في بلد الإسلام ويريد الانتقال إلى بلد الإسلام لا لله ولكن من أجل أن يتزوج هذه المرأة فهذا كما قال النبي ﷺ: (فهجرته إلى ما هاجر إليه) وأنه لا أجر عنده وأن عمله هذا مذموم لأن حقيقته أنه ليس بمهاجر بل هو إما تاجر أو كما قيل أنه خاطب،

وفي قوله:(فهجرته إلى ما هاجر إليه) تحقير لصنيعه، من الناحية البلاغية عدم ذكر ما هاجر إليه فيه تحقير لصنيعه وأنه صنيع بائس وأنه خائب وأن عمله هذا مذموم،

بقي أمر يتعلق بهذا وهي قول كثير من المتأخرين كالنووي وابن دقيق والعيني بأن سبب قوله ﷺ: (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها) قالوا أن سبب قول النبي ﷺ هذا هو قصة اشتهرت ويقال لها قصة مهاجر أم قيس، هذه القصة أخرجها الطبراني وغيره من طريق عبدالله بن مسعود، قال: [كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها، فكنا نسميه مهاجر أم قيس]،

وقال عبدالله بن مسعود بعدها: [من هاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك]،

وكما قال ابن حجر في الفتح قال أن هذه القصة إسنادها صحيح، لكن ليس في شيء من المسانيد وليس في شيء من الروايات ذكر أنها كانت سبباً لقول النبي ﷺ في هذا الحديث وكذا سبقه ابن رجب إلى ذلك، وابن

رجب ذكر ذلك في شرح الأربعين وقال أنهم أيضاً قالوا أنها سبب لهذا الحديث، قال: [ولم نر لذلك أصلاً بإسناد يصح والله أعلم]، يعني هذا ما يتعلق بهذه القصة، أردت أن أنبّه عليه،

بقي شيء وهو أن الهجرة يذكرها العلماء أيضاً في كتب الفقه وهي كما عرفناها: **الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام،**

وتطلق أيضاً على الانتقال من بلد فيه البدعة أو تكثر فيه البدعة إلى بلد ليس فيه بدعة أو تقل فيه

وتطلق أيضاً على اسم ثالث أن تنتقل من بلد تظهر فيه الفواحش والمنكرات إلى بلد تقل فيه،

تطلق على هذه المعاني الثلاثة،

هذا ما تيسر ذكره في هذا الحديث ونسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد في القول والعمل وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه،

وسبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس رقم (2) التاريخ: السبت 1440/3/15 هـ 2018/11/23 م

الدرس الثاني من شرح "الأربعين النووية"

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فمعنا الليلة إن شاء الله تعالى الدرس الثاني من دروس شرح الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله.

وحديثنا الليلة، الحديث الثاني من هذه الأحاديث، هو **حديث جبريل** الشهير،

وهذا الحديث اعتنى به العلماء كثيرا؛ وذلك لعظم الأمور التي اشتمل عليها، فقد اشتمل على بيان مراتب الدين الثلاث كما سيأتي،

وهو من الأحاديث التي تفرد بإخراجها - بهذا السياق - الإمام مسلم عن البخاري ، كما أنّ الحديث الأول حديث إنما الأعمال بالنيات تفرد بإخراجه الإمام البخاري ولم يخّرجه مسلمٌ رحمه الله، إلا أنّ هذا الحديث جاء من روايات أخرى، جاء مرويا عن أبي هريرة وغيره من الصحابة، لكن لم يأت بهذا الطول وبهذا التفصيل المذكور في حديث عمر رضي الله عنه.

هذا الحديث وصفه العلماء بأنّه **أمُّ السنة** ،

قال فيه القاضي عياض رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم، القاضي عياض له شرح على صحيح مسلمٍ اسمه **إكمال المعلِم بفوائد صحيح الإمام مسلم**، قال عند شرحه لهذا الحديث: "وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح و إخلاص السرائر و التحفظ من آفات الأعمال، حتى إنّ علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه، و على هذا الحديث وأقسامه الثلاث ألّفنا كتابنا الذي سميناه بالمقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان، إذا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحذورات المكروهات من أقسامه الثلاث والله أعلم".اهـ

كتاب القاضي هذا الذي سمّاه بـ **المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان**، كما قال ابن القاضي نفسه. قال أنّ هذا الكتاب في عداد المفقودات.

وقال النووي أيضا رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث قال: " واعلم أنّ هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم

المعارف والآداب واللطائف، بل هو أصل الإسلام كما حكيناه عن القاضي" اهـ وقد ذكر كلام القاضي الذي ذكرناه الآن.

وقال القرطبي رحمه الله: كما نقله عنه ابن حجر في فتح الباري قال: "وهذا الحديث يصلح أن يقال له أمُّ السنّة لما تضمنه من جمل علم السنة".

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرحه على الأربعين: " فهو كالأم للسنة، كما سميت الفاتحة أمَّ القرآن، لما تضمنته من جمعها معاني القرآن".

يعني كما أنّ الفاتحة يعني جمعت معاني القرآن أو جُمعت معاني القرآن فيها، فسميت بأمّ القرآن فكذلك هذا الحديث لما جمع مراتب الدين الثلاث وهي الإسلام والإيمان والإحسان، يعني صلُح بأن يسمي بأمّ السنة وهذه لطيفة ينبغي لطالب العلم أن يعلمها.

الإمام مسلم رحمه الله عند إخراجه لهذا الحديث في صحيحه ذكر له قصة، لما ذكر الإسناد قال:

" عن يحيى بن يعمر قال :كان أوّل من قال بالقدر في البصرة معبد الجهنيِّ"،

يعني أوّل ما ظهرت بدعة القدرية ظهرت بالبصرة في العراق وكان يعني حامل لوائها، أو من عُرف بها هو معبد الجهني،

قال :"فانطلقت أنا–يعني يحيى–و حميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين"،

يعني انطلقا إلى مكة قاصدين بيت الله الحرام يعني للحجّ أو العمرة،

فقال: "لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ سألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر"،

يعني أنه تمنى وأراد أن يلتقي بواحد من أصحاب رسول الله ﷺ فيسأله عن هذه المقولة التي قيلت في القدر وستأتي ما هي، انظر إلى حرص التابعين رحمهم الله على السؤال عن دينهم وعلى سؤال أهل العلم الثقات، وكانوا يعني آنذاك الصحابة أو من بقي حيّا منهم، لأنّ عبد الله بن عمر يعني توّفيَ سنة ثلاث وسبعين للهجرة ،فهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم.

طالب العلم ينبغي إذا سمع مقولة ارتابت منها نفسه وشك فيها وظن أنّ فيها خللا وزللا، لا ينبغي أن يصدقها ويمشي معها ويمشّيَها، لا، ينبغي عليه أن يسأل عنها،

كذلك لا ينبغي له التسرع في الرد عليها، لأنه يعني قد يريد الرد عليها و يأتي بما هو أعظم منها في الشرّ، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يَكِل الأمر إلى أهله، وأن يسأل أهل العلم عن أمور دينه وخاصة عن الأمور يعني المحدثة، الأمور التي تَجِدُّ، المقولات التي تجد وما أكثرها في زماننا هذا!

والله تبارك وتعالى يقول ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل/43] فأمر من ليس مِن أهل

الذكر أو من لا يدخل في أهل الذكر أن يسأل أهل الذكر، والإنسان إذا لم يكن من العلماء أو من الذين لديهم علم بالكتاب والسنة فلابد عليه أن يرجع إلى أهل العلم حتى يسألهم عما أشكل عليه من أمور دينه.

قال رحمه الله: "فوُفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه داخلا المسجد، قال: فاكتنفته أنا وصاحبي"

يعني جعلاه في وسطهما،

كما قال "أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله". اكتنفاه أي جعلاه في وسطهما،

قال: "فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن..."،

انظروا هنا إلى جميل الأدب وأنه يعني يحيى لم تكن نيته أن يسبق صاحبه بالكلام، لما رأى أنّ صاحبه سكت برهة من الزمن ظن أنّه سيكل الكلام إليه فتكلم هو وطرح سؤاله على عبد الله بن عمر رضي الله عنه،

فقال: "أبا عبد الرحمن!..." :يعني يا أبا عبد الرحمن ناداه بكنيته وهذا فيه استحباب مناداة الغير بالكنية.

فقال: "إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن و يتقفرون العلم"،

ومعنى يتقفرون العلم أي يطلبون مسائله الدقيقة والمسائل الغامضة، هذا معنى يتقفرون العلم، هذه الأمور هي التي جعلتهم يغترون بهم، فقراءتهم للقرآن دلت على أنهم كانوا على جانب من التقوى واتباعهم للعلم والمسائل الدقيقة وغير ذلك جعلت الناس يغترّون بهم،

ولا ينبغي للإنسان أن يغترّ بهذه الأمور، بل الواجب عليه أن يسأل أهل العلم الثقات عن أمور دينه ولا يعرض دينه لكل من هب ودبّ، بل يعني يتخير أهل العلم الثقات الذين لهم تزكيات والذين اشتُهروا بالعلم و اشتهروا بالتقوى واشتهروا بالمروءة إلى غير ذلك.

ثم قال رحمه الله -الكلام دائما ليحيى بن يعمر رحمه الله وغفر له- قال:

"ناس يقرأون القرآن و يتقفّرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأنّ الأمر أنف"،

يعني هذه مقالتهم، يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف،

- يعني لا يوجد شيء اسمه قدر وأنّ الله تعالى لم يقدر شيئا،
- وأنّ الأمر أنف أي مستأنف، يعني أن الله تبارك وتعالى لا يعلم بالشيء إلا بعد حدوثه و أنه لم يقدّر شيئا سبحانه وتعالى عمّا يقوله هؤلاء القدرية،

ولذلك كفرهم أهل العلم، الآيات التي في القرآن صريحة وكثيرة في إثبات علم الله تبارك وتعالى وأنّه سابق لكلّ شيء وأنّه من صفات الله تبارك وتعالى الذاتية وأنّ الله علم كل ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان

كيف يكون، فأتى هؤلاء ونفوْا العلم عن الله تبارك وتعالى ونفوْا تقدير الله تبارك وتعالى لما هو كائن، ونسبوا الله تبارك وتعالى إلى الجهل، وقالوا أنه لا يعلم بالأشياء إلا بعد حدوثها سبحانه وتعالى، وهذا كذب على الله و تكذيب لصريح القرآن وسيأتي الكلام في مرتبة العلم في الإيمان بالقدر، لكن لا بأس أن نذكر بعض الآيات التي فيها ذكر علم الله تبارك وتعالى مثل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/282]

وقوله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/14]

وأيضا في قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/59]

فهذه الآيات كلها فيها ذكر الإيمان أو فيها ذكر علم الله تبارك وتعالى السابق لكلّ شيء،

وهذه الطائفة التي أنكرت علم الله تبارك وتعالى وبالأحرى أنكرت علم الله تبارك وتعالى وأنكروا الكتابة ،اسمهم **القدرية الغلاة** وهؤلاء هم الذين كفرهم أهل العلم لما سبق؛ لأنهم كذبوا صريح القرآن، وأنكروا علم الله تبارك وتعالى، وهم القدرية الغلاة وعلى رأسهم **معبد الجهني و عمرو بن عبيد** وغيرهم،

لكن هؤلاء الآن لم يعد لهم وجود كما قاله بعض العلماء،

والصنف الثاني من القدرية هم الذين يثبتون العلم والكتابة لكنهم ينكرون مشيئة والخلق وسيأتي الكلام عنهم في باب الإيمان بالقدر فيما بعد إن شاء الله.

ثم قال ابن عمر رضي الله عنه: "فإذا لقيت أولئك أخبرهم أني برئ منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنّ أحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" ثمّ ذكر الحديث

وابن عمر رضي الله عنه مباشرة لمّا نقل لهم كلامهم قال ما قال تبرأ منهم وأخبرهم أن يخبروهم أنه يتبرأ منهم، وصنيعه هذا كما قال بعض أهل العلم يدلّ على أنه رأى تكفيرهم يعني لما سبق لأنهم يكذبون القرآن وينكرون علم الله تبارك وتعالى.

فالحاصل من هذا أنّ الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وسيأتي الكلام عنه وأنّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يتساهلون مع مثل هذه الأمور والتابعون رحمهم الله كانوا يرجعون إلى الصحابة في مثل هذه الأمور، وهذا أكبر درس لطالب العلم وهو أن يرجع لأهل العلم فيما أشكل عليه في مسائل العلم وفي المقولات الحادثة وفي الأمور التي تحدث ولا يجد لها جوابا ولا يكون له فيها مستند من علم.

وقد ذكرت في الدرس الماضي عند ذكر ترجمة النووي رحمه الله أنه كان أشعريا وأنه يعذر بذلك لكن نبهني بعض الإخوة جزاهم الله خيرا، على أنّ المميّعة لهم شبهة تشبه هذا وهي أنّهم يعذرون بعض رؤوس أهل

البدع في زماننا هذا ويقولون كانوا مجتهدين، و يتحججون بالنووي وابن حجر رحمهم الله، ولشيخنا حفظه الله في تعليقه على كتاب الأجوبة المفيدة للشيخ الفوزان رد على هذه الشبهة فليراجعها الإخوة جزاهم الله خيرا، يعني حسب ما أظن في الشريط قبل الأخير من تعليق شيخنا حفظه الله على أجوبة الشيخ الفوزان.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: **"حدثني أبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد"**.

فعمر رضي الله عنه هنا يعني يذكر أنهم كانوا في يوم من الأيام جلوسا عند رسول الله ﷺ،
وعمر رضي الله عنه كان حريصا على حضور مجالس النبي ﷺ،
وعمر كان يسكن في عوالي المدينة وكان ينزل يوما و جاره في اليوم الذي يليه، ومن يكون دوره في حضور مجلس النبي ﷺ ينقل ما سمعه إلى الآخر، فهذا حرص منهم رضي الله عنهم على حضور مجالس رسول الله ﷺ والاستفادة منها وعلى نشر ما استفادوه فيما بينهم، وهذا يجب أن يكون ديدن طالب العلم، يجب عليه أن يحرص على حضور مجالس العلماء و طلاب العلم المستفيدين، وأن يستفيد من علمهم ومن سمتهم ومن دلهم ومن أخلاقهم، وأن يعمل بذلك و إذا كان هناك جماعة من طلاب العلم ولا يستطيعون الحضور كلّ يوم فلا بأس أن يفعلوا كما يفعل عمر وجاره، فينقل أحدهم إلى الآخرين ما سمعه في الحلقة لكن بشرط أن يضبط الكلام.

فقال عمر :**"بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل"**،
وصف هذا الرجل وأبهمه قال رجل لأنه لم يكن يعرفه،
فقال: **"شديد بياض الثياب"** وصف ثيابه بأنها شديدة البياض وشديد سواد الشعر ، وصفه بوصفين ثم قال بعدها: **"لا يرى عليه أثر السفرولا يعرفه منا أحد"** يعني كأن الوصفين متناقضين عند عمر، إذا كان لا يعرفه منا أحد، يعني في مجلسهم، وكان أيضا ليس من جماعة رسول الله ﷺ، لم يكن يعرفه فلابد أن يكون مسافر، فإذا كان الانسان مسافرا فلابد أن تظهر عليه آثار السفر، فتكون ثيابه متسخة قليلا ويكون الشعر مغبرا، لكن هذا الرجل كان على خلاف ذلك، كانت ثيابه شديدة البياض وكان شعره شديد السواد يعني ليس عليه أثر السفر فكأن الوصفين متناقضين ،فلفت هذا انتباه عمر رضي الله عنه ،
ثم قال: **"حتى جلس إلى النبي ﷺ"** يعني دخل إلى مجلسهم وتقدّم حتى جلس إلى النبي ﷺ، و(إلى) هنا تفيد الانتهاء، تفيد أنه جلس بالقرب من النبي ﷺ ،حاذى النبي ﷺ، وبيّن هذا فقال:

" **فأسند ركبتيه إلى ركبتيه**"، يعني ألصق ركبتيه، جبريل عليه السلام ألصق ركبتيه بركبتي النبي ﷺ.

قال: "**ووضع كفيه على فخذيه**"، هنا اختلف العلماء:

- منهم من قال وضع كفيه على فخذيه يعني وضع جبريل كفيه على فخذيه، على فخذ نفسه،
- ومنهم من قال وضع كفيه على فخذيه أي على فخذي النبي ﷺ،
- وقد رجّح ابن حجر رحمه الله هذا في الفتح فقال: " وَفِي رِوَايَةِ لِسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ لَيْسَ عَلَيْهِ سَحْنَاءُ السَّفَرِ وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَدِ فَتَخَطَّى حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَجْلِسُ أَحَدُنَا فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ "، وهذا شاهد، ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ " وَكَذَا فِي حَدِيث بن عَبَّاسٍ وَأَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَفَادَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ على فَخذيهِ يَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبِهِ جَزَمَ الْبَغَوِيُّ وَإِسْمَاعِيلُ التَّيْمِيُّ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ..." إلى آخر كلامه رحمه الله، فرجّح أن جبريل عليه السلام وضع كفيه على فخذ النبي ﷺ، وعلّل هذا فقال: -يعني لماذا صنع جبريل هذا- قال: " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةَ فِي تَعْمِيَةِ أَمْرِهِ لِيُقَوِّيَ الظَّنَّ بِأَنَّهُ مِنْ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ وَلِهَذَا تَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ... ".انتهى كلام ابن حجر رحمه الله.

يعني يقول أن جبريل إنما فعل ذلك حتى يقوى الظن، يعني ظن من كان حاضرا في المجلس أنه من جفاة الأعراب، لذلك سيأتي أنه نادى النبي ﷺ باسمه فقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ، والعادة أنهم كانوا ينادون النبي ﷺ بوصف الرسالة أو النبوة؛ يقولون يا رسول الله أو يقولون يا نبي الله، ولم يكونوا ينادونه باسمه إلا إذا كان هذا المنادي من الأعراب،

فالأعراب كانوا معروفين بمناداة النبي ﷺ باسمه، فإذا نادى رجل النبي ﷺ باسمه علموا أنه أعرابي، وهذا ما فعله جبريل حتى يعني يعمي أمره ويظن أنه من الأعراب، وهذا فيه فوائد كثيرة قد نذكر بعضها :

- فيه أن الملائكة يعني قد تتشكل على صورة بشر.

كما حصل هنا من جبريل عليه السلام، وجبريل عليه السلام كان من قبل يأتي النبي ﷺ على صورة دحية الكلبي الصحابي

وجبريل عليه السلام قد جاء في القرآن أنه جاء لمريم عليها السلام وتشكل لها وتصور لها على هيئة بشر أيضا

وجاء في القرآن أن الملائكة جاءت إلى إبراهيم عليه السلام على صورة بشر،

وجاءت إلى لوط على صورة بشر، وهم يتحولون بقدرة الله تبارك وتعالى، من صورتهم ومن هيئتهم، يعني قد ذكر الله تبارك وتعالى أنّ لهم أجنحة كما في قوله تعالى ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ

﴿وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر/1]

وجاء أنّ جبريل عليه السلام رآه النبي ﷺ قد سد الأفق وله ستمائة جناح ، ومع ذلك تحول بقدرة الله تبارك وتعالى إلى بشر، هذه النقطة الأولى.

- النقطة الثانية: هي أن تصرف جبريل مع النبي ﷺ ينبغي أن يعتني به طالب العلم.

لماذا ؟ لأنّ جبريل لما كان له سؤال أو أراد أن يسأل النبي ﷺ لم يأت لحلقة النبي ﷺ وجلس في الأخير وأراد أن يطرح السؤال، بل أتى واقترب من النبي ﷺ وهذا فيه استحباب القرب من المسؤول أو من الشيخ لماذا؟

- لأن القرب من الشيخ أولا ييسر لك السؤال،
- وثانيا لا يلزمك رفع الصوت حتى تطرح السؤال
- وثالثا فيه سهولة الفهم إذا خاطبك الشيخ وأراد أن يفهمك الإجابة فلن تكون بعيدا،

تخيلوا الحلقات، حلقات المشايخ التي تكون كبيرة ويبعد فيها الطالب عن الشيخ كثيرا فحتى تصله الإجابة ويفهمها جيدا وحتى يسمعها جيّدا، لابد أن يقترب من الشيخ قدر الإمكان. هذا الأمر الثاني.

- والأمر الثالث: في هذا الباب أن الإنسان قد يسأل مثل ما صنع جبريل وسيأتي أنه سأل عن أمور كان يعلم أجوبتها،

فالإنسان إذا رأى مَن معه لا يحسنون ولا يعلمون جوانبا من العلم وهو يعلمها فلا بأس أن يسأل الشيخ عنها حتى يستفيد الحضور، مثل ما فعل جبريل عليه السلام حتى إن النبي ﷺ قال في آخر الحديث **هذا جبريل آتاكم يعلمكم أمر دينكم**، فنسب التعليم إلى جبريل مع أن النبي ﷺ هو الذي كان يجيب لكن لما كان جبريل هو الذي طرح الأسئلة وكان هو السبب المباشر في تعليمهم هذه الأمور نسب إليه النبي ﷺ أمر التعليم.

ثم قال رضي الله عنه: **"قال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتيَ الزكاة وتصوم رمضان وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه".**

يعني أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإسلام فلما أجابه النبي ﷺ قال له جبريل صدقت، وكأنّ جبريل عليه السلام كان يعلم الإجابة قبل أن يجيب النبي ﷺ، لذلك قال عمر بعدها **فعجبنا له يسأله ويصدقه**، يعني تعجبوا كيف يسأل والمفروض أن السائل لا يعلم الإجابة، لكن لما قال له صدقت كأنه كان يعلم الإجابة فأصاب النبي ﷺ لما أجابه بما أجاب فقال له صدقت، فهذا يعني ممّا زاد الغموض حول حال هذا الرجل.

الكلام عن أركان الإسلام التي ذكرها النبي ﷺ هنا سأتركه إلى حديثنا القادم وهو حديث ابن عمر وهو الحديث الثالث من أحاديث الأربعين النووية ولا داعيَ إلى الكلام عليها هنا،

لكن ننبه إلى أن النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام أجاب و فسره بالأمور الظاهرة، يعني الأمور التي ذُكرت في تعريف الإسلام كلها أعمال ظاهرة،

الشهادتان يعني من عمل اللسان والصلاة وباقي الأركان كلها عبادات ظاهرة كلها أمور ظاهرة،

بينما لما سأله كما سيأتي عن الإيمان أجابه عن الأمور الباطنة وعرّف الإيمان بالأمور الباطنة.

يقول العلماء: اسم الإسلام واسم الإيمان من الأسماء التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، يعني:

- اسم الإسلام إذا أفرد ولم يضم إليه اسم الإيمان دل على الإيمان وشمل الإيمان.
- وكذلك اسم الإيمان إذا أفرد أو إذا استُعمل وحده شمل الإسلام أيضا،
- لكن إذا ذكر الإيمان والإسلام كان لكل منهما معناه وكان –يعني- الإسلام يشمل العبادات الظاهرة والأمور الظاهرة ويشمل الإيمان العبادات الباطنة كما ذكر في هذا الحديث،

هذا تفصيل الكلام حول الإسلام والإيمان كما يذكره العلماء في شروحهم.

ثم قال رضي الله عنه: **"فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن يراه فإنه يراك".**

جبريل عليه السلام يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والنبي ﷺ يجيبه بذكر أصول الإيمان الستة.

الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح فهو يتكون من هذه الأمور الثلاثة ولا يصح إلا بها مجتمعة

فلا إيمان بدون عمل، خلافا لما تدعيه المرجئة وسيأتي ذكرهم وذكر طوائفهم واعتقاداتهم.

ومن الأدلة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأنّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) ﴾ [الأنفال/2-4]

في هذه الآية ذكر الله عز وجل أن أعمال القلوب و أعمال الجوارح داخلة في الإيمان،

قال ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وهذه من أعمال الجوارح،

وذكر وجل القلب عند ذكر الله تبارك وتعالى هذا من عمل القلوب ،

وفيه أنّ الإيمان يزيد وجاء أيضا في الحديث عن أبي هريرة عند مسلم قوله ﷺ "الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"

فجاء في الحديث عن الأمور الثلاثة فيه القول **لا إله إلا الله** وفيه إماطة الأذى الذي هو العمل وفيه الحياء وهو داخل في عمل القلب،

ومن الأدلة أيضا على أن الإيمان يزيد قوله تبارك وتعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة/124] فيه دليل يعني على أنّ الإيمان يزيد

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري ومسلم فيه قول النبي ﷺ ما رأيت من ناقصات عقل و دين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن أو بنحو هذا اللفظ، ففيه وصف النساء بأنهنّ ناقصات عقل ودين ونقصان الدين هو نقصان في الإيمان.

ذكر الحافظ في فتح الباري قال: "وروى اللالكائي بسند صحيح عن البخاري رحمه الله قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار – يعني في البلدان – فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وأطنب ابن أبي حاتم و اللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين وحكاه الفضيل ابن عياض و وكيع عن أهل السنة والجماعة".

فالبخاري يقول أنه لقي أكثر من ألف رجل من العلماء، أكثر من ألف عالم، فما رأيت أحدا منهم يختلف في أنّ الإيمان قول وعمل،

والسلف منهم من كان يعبِّر عن الإيمان بهذا: أنه قول وعمل، يقصد بالقول قول القلب وقول اللسان وبالعمل عمل القلب وعمل الجوارح، وهذا يتفق مع التعريف الذي ذكرناه وأنه يزيد وينقص، هذا هو التعريف الصحيح للإيمان عند أهل السنة والجماعة.

ومن الفرق التي خالفت في باب الإيمان: المرجئة، سموا مرجئةً لأنهم أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان، معنى أرجؤوا العمل: أخّروا العمل وأخرجوه عن مسمى الإيمان لهذا سمّوا مرجئة، والمرجئة هؤلاء ينقسمون إلى أربع طوائف:

- الطائفة الأولى: تعرِّفُ الإيمان بأنه مجرد المعرفة، إذا عرفت الله بقلبك فأنت مؤمن كامل الإيمان

عند هؤلاء،

وهذا القول هو قول الجهمية وهو أقبح الأقوال كما ترى، فعلى قولهم هذا فرعون مؤمن لأنه عرف الله تبارك وتعالى بقلبه وكذا إبليس مؤمن لأنه عرف الله بقلبه.

- القول الثاني أو الطائفة الثانية من طوائف المرجئة: تقول الإيمان هو التصديق بالقلب إذا صدّقت بقلبك فأنت مؤمن كامل الإيمان عندهم،

وهذا قول الأشاعرة ،إذا صدقت بقلبك فأنت مؤمن ولو لم تنطق ولو لم تشهد بأن لا إله إلا الله بلسانك ولو لم تعمل أي عمل بجوارحك فأنت مؤمن كامل الإيمان عند هؤلاء.

- القول الثالث: قول الكرامية وهؤلاء يقولون أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، ولو لم يصحبه اعتقاد بالقلب ولا عمل،

إذا نطقت بلسانك وشهدت أن لا إله إلا الله ولو لم تؤمن بقلبك فأنت مؤمن كامل الإيمان عندهم، فالمنافقون مؤمنون على حسب قولهم!

- الطائفة الرابعة: وهي مرجئة الفقهاء فهؤلاء يعرّفون الإيمان أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان لكنهم يخرجون العمل من مسمى الإيمان،

ويقولون أنّ من اعتقد ونطق فهو مؤمن، وهذا أيضا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة .

إذا تقرر هذا فنرجع إلى أصول الإيمان الستة المذكورة في الحديث من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، هذه الأصول الستة جاء ذكرها في كتاب الله عزّ وجلّ عند قوله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ [البقرة/177]

وجاء ذكر القدر في قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر/49] فهذا الدليل من الكتاب على هذه الأركان الستة.

الإيمان بالله يتضمن أمورا أربعة:

1- **يتضمن الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.**
2- **الإيمان بربوبيته.**
3- **الإيمان بألوهيته.**
4- **الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.**

فمن لم يؤمن بوجود الله تبارك وتعالى فليس بمؤمن،

وللإيمان بالله لابد من الإيمان بوجوده ولابد من الإيمان بربوبيته وهي أن يقرّ الإنسان بأن الله تبارك وتعالى واحد في أفعاله لا شريك له،

وأفعاله سبحانه وتعالى كثيرة كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير وغيرها،

أما الإيمان بألوهيته سبحانه وتعالى فهي أن يُوَحَّد الله تبارك وتعالى بالعبادة أو أن نوحده يعني بأفعالنا يعني بأفعال العباد،

والعبادات كثيرة منها الدعاء والخوف والرجاء والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة وغيرها، فلا يجوز صرف أي شيء من أنواع العبادة لغير الله تبارك وتعالى ومن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر،

أمّا الإيمان بأسمائه وصفاته فهو أن نثبت لله تبارك وتعالى كل ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

أما الإيمان بالملائكة:

فالملائكة جمع ملك والملك مأخوذ أو مشتق من الألوكة وهي الرسالة.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليهم من عباده .انتهى كلامه رحمه الله.

والملائكة عالم غيبيٌّ خلقهم الله تبارك وتعالى من نورٍ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "خلقت الملائكة من نور وخلق الجآن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم"،

يعني من طين، فهم عالم غيبيٌ لا نراهم وإنما نرى منهم من أذن الله له في التصور على صورة كما جاء في حديث جبريل و وصفهم الله تبارك وتعالى في كتابه أن لهم أجنحة كما جاء في قوله تعالى ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ ،

وكما قلنا جاء في الحديث في وصف جبريل عليه السلام "أنّ له ستمائة جناح"

وجاء أيضا في الآية أن لهم قلوبا كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [سبأ/23]

- ومن الأمور التي يجب علينا أيضا أن نؤمن بها في الملائكة أنّ عددهم كثير جدا لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى،

قد جاء في حديث البيت المعمور وهو البيت الذي في السماء السابعة أنّه كل يوم يدخله سبعون ألف ملكا ولا يعودون إليه ،يعني يدخل البيت المعمور كلّ يوم سبعون ألف ملكا، يطوفون به ثم لا يعودون إليه

وهذا يدل على أنّ عددهم كثيرا وكبير جدا،

- ومن الأمور أيضا التي يجب الإيمان بها في الملائكة أن لهم أسماء.

فيجب أن نؤمن بأسماء من علمنا منهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومالك ورضوان إلى غير ذلك،

- وأن لهم أيضا أعمالا موكلين بها فيجب أن نؤمن بما علمنا من أعمالهم

كجبريل موكل بالوحي وملك الموت موكل بقبض الأرواح وإسرافيل هو الموكل بالنفخ في الصور ميكائيل هو الموكل بالقطر ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة إلى غير ذلك، ومنكر ونكير إن صحّ الحديث في تسميتهما وهما الملكان اللذان يسألان العبد في قبره من ربك ومن دينك ومن نبيك إلى غير ذلك مما يجب الإيمان به أيضا في حق الملائكة.

أما ما يخصّ الإيمان بالكتب

- فيجب الإيمان بأنّ الله تعالى أنزل كتبا على رسله منها ما سمي في القرآن ومنها ما لم يسم

والذي سمي في القرآن: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى هذه كلها جاء تسميتها في القرآن فيجب الإيمان بها بالتفصيل،

- ويمتاز القرآن على غيره من الكتب بأنّ الله تبارك وتعالى تكفّل بحفظه من التحريف ومن التغيير والتبديل، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر/9]

- ويمتاز أيضا بأن الله تبارك وتعالى أنزله منجما مفرقا على حسب الحوادث وبأنّه كتاب جاء مهيمنا على الكتب السابقة كما قال عزّ وجلّ ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة/48]

- أيضا يجب أن نؤمن بما جاء في القرآن على سبيل التفصيل،

فنصدق الأخبار التي جاءت عن الأمم السابقة وما سيكون يوم القيامة وغيرها، فهذه الأخبار يجب أن تصدق،

فيه أوامر ونواهي، الأوامر لابد أن تفعل والنواهي لابد أن تجتنب،

وأيضا وصفه الله تبارك وتعالى وتحدى أهل الفصاحة والبلاغة على أن يأتوا بسورة مثله كما قال عزّ وجلّ

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) ﴾

[الإسراء/88]

فالله عّز وجلّ تحدى في هذه الآية أهل الفصاحة وأهل البلاغة بأن يأتوا بمثله ولن يستطيعوا لأنه المعجزة الخالدة من الله تبارك وتعالى.

يأتي بعده الإيمان بالرسل،

- الإيمان بالرسل يقتضي بأن نؤمن أنّ الله تبارك وتعالى اصطفى رجالا من عباده يأتون الناس،

اصطفاهم لهداية الناس ولإخراجهم من الظلمات إلى النور ولكي يبيّنوا لهم طريق الحق ويهدوهم إليه ويبلغوهم مراد الله تبارك وتعالى، كما قال عزّ وجلّ ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج/75]

فالله تبارك وتعالى اصطفى هؤلاء حتى يبلغوا دينه للناس، كلّفهم بهذا التبليغ بأن يبلغوا دينه للناس كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35) ﴾ [النحل/35]

وقال أيضا ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [المائدة/44]

وكما قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة/67]

فهذه وظيفة الأنبياء والرسل،

وقد فرق بعض أهل العلم بين النبي والرسول:

بأن النبي يرسل إلى قوم موافقين وأن الرسول يرسل إلى قوم مخالفين

خلافا لما قاله بعضهم: قال الفرق بينهم أنّ الرسول هو من أوحيَ إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبي لم يؤمر بالتبليغ

فرد عليهم أصحاب القول الأول وقالوا لا نعلم أنّ الله تبارك وتعالى أوحى لشخص وأمره بالمكوث في البيت وعدم التبليغ،

والصواب الأول، يعني كلّ من النبي والرسول أمر بالتبليغ لكن الرسول أرسل إلى قوم قد يكونوا موافقين له وقد يكونوا مخالفين بينما النبي يرسل إلى قوم موافقين.

والرسل منهم من ذكره القرآن وقُصَّ علينا في القرآن ومنهم لم يقصص علينا كما قال الله عزّ وجلّ [ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك]

والذين ذُكروا في القرآن خمسة وعشرين رسولا منهم ثمانية عشرة جاء ذكرهم في سورة الأنعام بعد قوله

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام/63]

ويبقى سبعة وهم آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ونبينا محمد ﷺ.

- الفروق التي بين نبينا محمد ﷺ وباقي الأنبياء:

أنّ الأنبياء كانوا يرسلون إلى أقوامهم خاصة ونبينا محمد ﷺ أرسله إلى الناس كافة وينبغي التنبيه أن من كذب برسول واحد فقد كذب بجميع الرسل كما قال الله عزّ وجلّ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) ﴾ [الشعراء/105] وقال أيضا ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) ﴾ [الشعراء/123] و ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) ﴾ [الشعراء/141] و ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) ﴾ [الشعراء/160]

فدائما يقول المرسلين المرسلين مع أن المكذَّب هو رسول واحد، وذلك للدلالة على أن من كذب رسولا واحدا فقد كذّب جميع الرسل.

الأصل الخامس من أصول الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر،

- الإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بكل ما يكون بعد الموت
  - لأنّ من مات فقد قامت قيامته،
  - ولأن الدور دارين: دار الدنيا ودار الآخرة

وكل ما يكون بعد الموت فهو تابع للدار الآخرة،

والحياة بعد الموت:

- منها حياة برزخية وهي التي تكون بعد الموت إلى البعث،
- وبعد البعث تأتي الحياة الأُخروية.

- ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وبفتنة القبر

والدليل من الكتاب على عذاب القبر قوله تبارك وتعالى عن فرعون وأتباعه ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46) ﴾ [غافر/46]

فالنار التي كانوا يعرضون عليها غدوا وعشيا كانت قبل قيام الساعة وهذا يكون في الحياة البرزخية أي في القبر،

والدليل من السنة قوله ﷺ لما مرّ على قبرين وسمع صوت صاحبيهما وهما يعذبان قال: "إنهما يعذبان وما

يعذبان في كبير، بلى إنّه لكبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة"، ومن الأدلة حديث البراء بن عازب المشهور وموضوعه حول سؤال الملكين لمن يوضع في قبره من ربك ومادينك ومن نبيّك.

- ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث بعد الموت،

ودليله قوله تبارك وتعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) ﴾ [التغابن/7]

وقوله تبارك وتعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38) ﴾ [النحل/38]

فهذه أدلة فيها إثبات البعث بعد الموت وأنّه حقٌ.

- ومن الأمور التي ينبغي أيضا الإيمان بها مما تتعلق بالإيمان باليوم الآخر أن الله تبارك وتعالى ينصب الموازين يوم القيامة

وذلك لوزن أعمال العباد فمن كثرت موازينه نجا ومن خفت موازينه هلك وأنّ الموزونات ثلاثة يوم القيامة، يوزن الإنسان ويوزن عمله وتوزن الصحائف، صحائف الأعمال.

- ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصراط

وهو الجسر المنصوب على ظهر جهنم أو على متن جهنم، يمر عليه المسلمون للوصول إلى الجنة، وكلٌ يمر على حسب أعماله، مِن الناس مَن يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يزحف زحفا، إلى غير ذلك .

- ومن الإيمان أيضا باليوم الآخر الإيمان بالشفاعة التي تكون يوم القيامة،

فيشفع النبي ﷺ، ويشفع الأنبياء والصالحون والشهداء كما جاء في الأحاديث والأثار وليس هذا محل بسط هذه الأمور.

أما الأصل السادس من أصول الإيمان وهو الإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذا الأصل جاء ذكره في أدلة الكتاب والسنة منها قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) ﴾ [القمر/49]

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ

﴿ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (22)﴾ [الحديد/22]

الإيمان بالقدر له أربع مراتب:

- المرتبة الأولى العلم
- والمرتبة الثانية الكتابة
- والمرتبة الثالثة المشيئة
- والمرتبة الرابعة الخلق،

وقد أحسن الحافظ ابن رجب تلخيصها والكلام عليها وجعلها في درجتين كل درجة تحتوي على مرتبتين:

- الدرجة الأولى تحتوي على مرتبتي العلم والكتابة
- والدرجة الثانية فيها مرتبتي المشيئة والخلق

قال رحمه الله:

"والإيمان بالقدر على درجتين:

- إحداهما الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن أهل النار وأعدّ لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأنّ أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه كتابته.
- والدرجة الثانية: أنّ الله تعالى خلق أفعال عباده كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة وينكرها القدرية،

والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية وأنكرها غلاتهم كمعبد الجهني، الذي سئل ابن عمر رضي الله عنه عن مقالته وكعمر ابن عبيد وغيره، وقد قال كثير من السلف، من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق لأفعال العباد وأن الله قسمهم قبل خلقه إلى شقيّ وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ قد كذّب بالقرآن، فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا أنّ الله خلق أفعال عباده وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا، لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه، و في تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء، وأما من أنكر العلم القديم فنص أحمد والشافعي على تكفيره وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام".

انتهى كلامه رحمه الله.

بقي التنبيه على قوله تؤمن بالقدر خيره وشره،

ننبه على أنّ أفعال الله لا شرّ فيها وأفعاله صادرة عن حكمة ورحمة بالناس، لذلك لا يقال القدر شر، القدر لا شر فيه وإنما الشر في المقدور،

الشر في الأمور التي قد تحدث، هذه المفعولات التي يكون فيها خير وشر،

أما أصل فعل الله تبارك وتعالى فلا شر فيه إن شاء الله، لأنّ الله تبارك وتعالى قدّر هذه الأمور لحكمة،

وأصاب الإنسان بأنواع البلاء لحكم، كما في قوله تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ ثم قال: ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) ﴾ [الروم/41]

فأذاقهم بعض العذاب لماذا؟ حتى يرجعوا و يعودوا إلى دينهم،

فالذي ينظر إلى ظاهر الحال قد يقول هذه الأمور شرٌّ وكذا وكذا،

لكن إذا نظرنا إلى المآل وأنهم يرجعون فسيعلمون أنّ الله تبارك وتعالى إنما قدر لهم الخير.

هذا ما أردنا بيانه في هذه النقطة.

قال رضي الله عنه أي جبريل: **"أخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنّه يراك فإن لم تكن تراه فإنه يراك"**

إخواني بارك الله فيكم الإحسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو يمكن تقسيمه باعتبارات ثلاثة:

1- **إحسان بين العبد ونفسه،**
2- **وإحسان بين العبد والخلق،**
3- **وإحسان بين العبد وربه.**

- الإحسان الذي يكون من العبد مع نفسه يكون بأن يحملها على طاعة الله تبارك وتعالى ورسوله وأن يكفها عن معصية الله تبارك وتعالى وبذلك يكون قد أحسن إليها.
- والإحسان الذي يكون بين العبد والخلق، هو كما عرفه الحسن البصري رحمه الله وغفر له، قال الحسن البصري رحمه الله: **الإحسان هو بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه.**

ويعني ببذل الندى أي بذل المعروف، أن توصل المعروف إلى الناس،

وكف الأذى أي أن تكف عن الناس شرّك وأذاك، ألا توصل أذاك وشرك إلى الناس،

وطلاقة الوجه كما قال النبي ﷺ التبسم في وجه أخيك صدقة، على أن يكون وجهك طلقا، ولا تكون عابس الوجه، هذا الإحسان مع الخلق .

- أما الإحسان الذي يكون بين العبد وربه فهو أن يتقن العمل الذي كلفه به، وأن يأتيَ به صحيحا كما أمره الله تبارك وتعالى بذلك،

فالله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا صوابا،

ونعني بالخالص أن يكون لله تبارك وتعالى لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا، ليس فيه لا شرك ولا رياء ولا سمعة ولا غير ذلك، أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم،

ونقصد بالصواب أن يكون هذا العمل صوابا على وفق سنة رسول الله ﷺ، صوابا يعني يكون هذا العمل وفق شرع الله تبارك وتعالى، ليس فيه بدعة،

الإنسان يتحرى إصابة السنة في كل عمل يعمله، وينبغي للمسلم قبل أن يعمل العمل أن يتعلم كيف يعمل هذا العمل،

- إذا أراد الصلاة يتعلم كيف يصلي،
- إذا أراد الزكاة يتعلم كيف يزكي،
- إذا أراد أن يبيع ويشتري يتعلم أحكام البيوع،
- وإن كان له شيئا من أمور الزكاة يتعلم أحكام هذه الزكاة،
- إذا جاء رمضان يتعلم أحكام الصيام،
- إذا أراد أن يحج يتعلم أمور الحجِّ، فلا يذهب جاهلا هناك وقد يتسبب هذا في عدم قبول حجِّه، بأن يترك ركنا من أركانه أو غير ذلك، فهذا معنى أن يكون العمل صالحا: أن يكون خالصا وأن يكون صوابا.

والإحسان بين العبد وربه ينقسم إلى مرتبتين كما جاء مبَينا في الحديث:

1- **مرتبة المشاهدة وهي أعلى المراتب،**
2- **ومرتبة المراقبة وهي المرتبة التي دونها.**

ونعني بمرتبة المشاهدة: نعني بها كما قال النبي ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه، أن يبلغ بك اليقين والإيمان كأنك تشاهد الله عيانا، لا يكن عندك تردد ولا شكٌّ، كأنّك ترى الله تبارك وتعالى عيانا ومن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإحسان.

المرتبة التي بعدها هي إن لم تعبده كأنّك تراه، فأن تعبده كأنه يراك، كما جاء في الحديث، قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، **وهذه هي مرتبة المراقبة.**

مرتبة المراقبة أن تعلم أنّ الله تبارك وتعالى يراك، وأنه يعلم حالك ويعلم ما في نفسك فلا يليق بك أن تعصي الله تبارك وتعالى وأنت تعلم منه أنه يراك، وأنه مطلع على أحوالك فهذا لا يليق بالمرء وهو لا يعلم هذا،

وهذه المرتبة -مرتبة المراقبة- أقل من مرتبة المشاهدة، لكنها من الإحسان لأنها تبلغ بالعبد بأن يحسن

عبادته وأن يحسن تصرفاته بأن يراقب الله تبارك وتعالى في جميع أحواله.

ثم قال رضي الله عنه: **"فأخبرني عن الساعة، فقال له الرسول ﷺ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".** جبريل هنا سأل النبي ﷺ عن قيام الساعة، والنبي ﷺ لا يعلم الغيب، يعلم فقط ما أطلعه الله عليه من أمور الغيب، ولا يعلم كل الغيب، ولا يعلم متى الساعة لماذا ؟ لأن الله تبارك وتعالى استأثر بعلمها، ولم يطلع النبي ﷺ عن وقتها.

فقال له جبريل **"أخبرني عن أماراتها"**: أي عن علامتها **والأمارة هي العلامة.**

فقال له النبي ﷺ: **"أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان".**

فأخبره النبي ﷺ عن بعض أمارات الساعة،

الأمارات هذه أمارات صغرى، الساعة لها أشراط أو علامات كبرى وعلامات صغرى،

العلامات التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث كلها داخلة في العلامات الصغرى،

أما العلامات الكبرى فإذا بدأت فإنها تأتي الواحدة تلو الأخرى،

وأما العلامات الصغرى فإنه قد يظهر بعضها في وقت والآخر في وقت لاحق بعده بزمن.

فقال في أول العلامات **أن تلد الأمة ربتها**،

والمقصود بالأمة: المملوكة، المرأة المملوكة، فقال أن تلد الأمة ربتها وهذا كناية عن كثرة الرق، وأنه أتى زمان كثر فيه الرق، في زمن الفتوحات، كان الرجل الواحد يملك عشرة أو عشرين من الإماء، وكان إذا أنجبت هذه الإماء منه أبناء، فإن الأبناء لا يكونون إماء أو عبيدا بل يكونون أسيادا،

يعني الأمة إذا أنجبت من سيدها فإن هذا الولد يكون سيّدا ولا يكون مملوكا، فتبقى هذه الأمة مملوكة ويصبح الولد سيّدا عليها، سواء كان إبنا أو بنتا، فهذا معنى قوله أن تلد الأمة ربتها، وقلنا هذا قد حصل في زمن الفتوحات فقد كثر الإماء في ذلك الزمان.

ثم قال **"أن ترى الحفاة"**: الحفاة الذين لا يلبسون في أقدامهم شيئا من شدة الحاجة والفقر، العراة: الذين لا يملكون ما يلبسونه ويسترون به أجسادهم وعرواتهم.

العالة: يعني الفقراء

ورعاة الشاء: اي يرعون الشياه.

قال **"يتطاولون في البنيان"**: وهذا قد تحقق في يومنا هذا، فكثير من البدو الذين كانوا جياعا لا مال عندهم أصبحوا يتطاولون في البنيان ويبنون العمائر الطويلة والمساكن الفخمة الكبيرة، وهذا من علامات نبوّة النبي ﷺ؛ إذ أنّه أخبر عن هذا في ذلك الزمان وتحقق بعده بمدة طويلة.

ثم قال:" **ثم انطلق فلبثت مليا**"، عمر رضي الله عنه لبث مليا ثم قال له النبي ﷺ: "**يا عمر أتدري من السائل؟**"

"**قلت**": القول لعمر: "**الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم**".

فهذا حاصل حديث جبريل عليه السلام وأنّه جاء معلما للصحابة رضوان الله عليهم وذلك بطريقة طرح الأسئلة على النبي ﷺ كي يجيب ويستمع الحاضرون وتحصل عندهم الفائدة، وقلنا أنّ هذا هو أحد أساليب التعليم، أن يطرح الإنسان السؤال على الشيخ فيجيب الشيخ و يستفيد الحاضرون جميعا من الأجوبة، والنبي ﷺ بيّن لعمر و الحاضرين بعد ذهاب جبريل، وجاء في بعض الروايات بعد ثلاثة أيام بيّن لعمر أنّ السائل هو جبريل عليه السلام.

وأعتذر لطول الوقت فهذا الحديث كما رأيتم حديث عظيم جدا لا يكفي المقام لشرحه وبسط القول فيه وتفصيل كلّ ما فيه، وفيه أمور كثيرة ، وفيه كما مرّ معنا أمور الدين وجميع مراتب الدين من إسلام وإيمان وإحسان ،ومن العلماء المعاصرين من أفرده بتصنيف خاص، شرح فيه مجمل ما فيه وهو الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله، فألف رسالة صغيرة سمّاها شرح حديث جبريل في تعريف الدين وهذه رسالة مفيدة جدا، والله أعلم وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الدرس رقم (3) *التاريخ: السبت 1440/3/22 هـ 2018/11/30 م*

الدرس الثالث من شرح "الأربعين النووية"

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
أما بعد:
فمعنا الليلة إن شاء الله تعالى الحديث الثالث من أحاديث الأربعين النوويّة، للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله.

قال رحمه الله:
عن أبي عبد الرحمن عبد بن عمربن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: بني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول اللهِ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وحجِّ البيتِ، وصومِ رمضانَ. رواه البخاري ومسلم
قوله ﷺ:"**بني الإسلام**"، بني هذا الفعل فعل مُغَيَّرُ الصيغة،
ومعنى ذلك أنّ الفاعل لم يُذكر وأُبهم، أبهم الفاعل هنا لكونه معلوما لدى السامع،
والإسلام الذي بناه على خمسة أركان كما سيأتي هو الله تبارك وتعالى.
وقوله"**على خمسٍ**": المراد بها خمسة أركان، تسمى الأركان وتسمى أيضا المباني، مباني الإسلام وأركان الإسلام ودعائمه.
وهنا فائدة: وهي أنّه قد مرّ معنا في الحديث السابق حديث جبريل، أنّ النبي ﷺ لمّا سئل عن الإسلام قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله...الحديث.
فحديث جبريل ظاهره أنّ الإسلام هو هذه الأركان الخمسة فقط؛ لأنّ"**أن**"في قوله"**أن تشهد أن لا إله إلا الله**"تسمى تفسيرية،
معناه أن ما بعدها يفسر ما قبلها،
ولمّا فسر الإسلام بهذه الأركان الخمس، أصبح ظاهر الحديث أن الإسلام هو الأركان الخمسة فقط وجاء حديثنا هذا ليبيّن أنّ هذه الخمس هي مباني الإسلام وأركانه التي بنيَ عليها، وأنّ الإسلام ليس محصورا

فقط في الأركان الخمسة بل الأعمال الصالحة كلها داخلة في الإسلام.

والأركان: ***جمع ركن، والركن كما يعرفه أهل اللغة هو جانب الشيء الأقوى، وهو الشيءُ الذي يبنى عليه المبنى ولا يقوم إلا به.***

كذلك الإسلام يقوم على هذه الأركان الخمسة.

والسؤال المطروح هنا هو: هل تارك هذه الأركان الخمسة مسلم أم كافر؟

والجواب: أن العلماء قد اتفقوا على أنّ من ترك الشهادتين، (شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله)، أنّ من تركهما مع القدرة على النطق بهما أنّه كافر،

واختلفوا في الأركان الأربعة الأخرى أيكفر بتركها أم لا؟

والخلاف في المسألة مشهور وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر فيه خمسة أقوال، من أراد مراجعتها فليراجع كتب شيخ الإسلام خاصة **الإيمان الأوسط**. فالمسألة مبسوطة هناك.

والصحيح من أقوال أهل العلم والله أعلم، أنّ من ترك واحدا من المباني الأربع أو تركها جميعا مع الإقرار بوجوبها، لكنّه تركها تكاسلا أنّه لا يكفر بذلك، ما عدا الصلاة، الصلاة اختلفوا في تاركها والخلاف أظنكم تعرفونه يا طلبة العلم، العلماء اختلفوا في تارك الصلاة تكاسلا أيكفر أم لا؟ وليس هذا محل الكلام عن هذه المسألة.

المهم أن تعلموا أنّه ثمت خلاف في المسألة، وأنّ الصحيح والله أعلم، أنّ من ترك هذه الأركان الأربعة مع الإقرار بوجوبها، أنّه على خطر عظيم وإن لم نقل بكفره، لكنّه على خطر عظيم والواجب عليه أن يأتيَ بها ولا يتهاون بأمر كهذا.

قوله ﷺ"بنيَ الإسلام"،

- **الإسلام يطلق بالمعنى العام على التعبد لله تبارك وتعالى بما شرعه من العبادات التي جاء بها رسله،**

هذا الإسلام بالمعنى العام، هو التعبد لله بما شرعه من العبادات التي جاء بها رسله،

فالذي جاء به نوح، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء والرسل كله يسمى إسلاما في زمنهم، فاليهود كانوا مسلمين في زمنهم والنصارى كذلك كانوا مسلمين في زمن عيسى.

- **أمّا الإسلام بالمعنى الخاص هو ما جاء نبينا محمدٌ ﷺ وقد نسخ جميع الشرائع السابقة.**

ولا يصح لأحد التدين بغير ما جاء به نبينا محمد ﷺ، لذلك قال رسول الله ﷺ:"والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

وهذا الإسلام يعرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

وغيرهم من العلماء، **بأنّه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.**

وقال ﷺ: بنيَّ الإسلام على خمس شهادةِ أن لا إله إلاّ الله،

تجوز أيضا أن تقرأ بـ"شهادةُ أن لا إله إلا الله"،

- فعلى قراءة الكسر تكون بدلا، بدل بعض من الكلّ، بدل من خمس،
- وعلى قراءة الضم تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره"هي"، أي: هي شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله،

فتجوز القراءتان.

الشهادة معناها: أن يعترف الإنسان بقلبه ويعلم ويوقن بالمشهود به ثمّ ينطق بلسانه مستصحبا ذلك الاعتقاد بالقلب، ويعترف ويخبر بالمشهود به،

- وهنا **شهادةُ أن لا إله إلا الله معناها** أن الإنسان يعتقد ويوقن أنّه لا معبود حقٌ إلا الله، وينطق بلسانه بهذه الشهادة ويخبر به، هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقلنا لا معبود حق إلا الله لأنّه التفسير الصحيح لـ لا إله إلا الله، فلو أنّ أحدًا سألكم يا طلبة العلم وطلب منكم من أين جئتم بهذا التفسير لـ لا إله إلا الله؟

لماذا يسألكم؟ لأنه وُجِد من فسرها بغير ذلك، فُسرت بلا خالق إلا الله، ومنهم من قال لا إله موجود أو كائن إلا الله، فالجواب عن هذا السؤال أن تقولوا:

أولا: نرجع إلى إعراب هذه الكلمة الطيّبة فنقول:

أنّ "لا" هنا نافية للجنس،

ولا النافية للجنس تدخل على المبتدأ والخبر، ويسمى المبتدأُ اسمها ويسمى الخبر خبرها،

وخبرها كما هو معلوم في علم النحوِ، يجوز إخفاءه إذا كان معلوما واضحا،

فنقول في الإعراب:

لا: نافية للجنس،

وإله: اسمها مبني على الفتح، وخبرها محذوف تقديره حق،

وسيأتي الكلام على سبب هذا التقدير،

وإلا: أداة حصر،

والله: لفظ الجلالة بدل من الخبر المحذوف "حق"،

وقد غلط هنا من جعل لفظ الجلالة خبرا لـ لا، وهؤلاء غلطوا لماذا؟

لأنّ "**لا**" لا تعمل إلا في النكرات ولفظ الجلالة أعرف المعارف، فصارت الجملة عندنا "**لا إله حقٌ إلا الله**".

نأتي الآن لسبب تقديرنا للخبر المحذوف بـ"حق"؟

قدرناه بذلك لماذا؟

لأنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم ﴿ ذلك بأنّ الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ [الحج/62] فالآلهة المعبودة، الآلهة التي تعبد من دون الله كثيرة، من الناس من يعبد الحجر، منهم من يعبد الشجر، منهم من يعبد الأموات، منهم من يعبد الأضرحة ومنهم من يعبد الجن إلى غير ذلك. والآلهة الباطلة كثيرة جدا، ولكن الذي يعبد بحق هو الله تبارك وتعالى، لذلك قال الله تبارك وتعالى كما في الآية السابقة ﴿ ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ [الحج/62] فكلّ ما يدعونه من دون الله تبارك وتعالى، فقد عبد ودعيَ بالبغيِ والظلم والعدوان، فلذلك من قدّر أو فسّر "**لا إله إلا الله**" بـ لا إله موجود إلا الله،

نقول له الواقع يكذبك، تقول لا إله موجود! نقول لك الآلهة كثيرة جدا؛ الناس تعبد أي شيء خاصة في زمانا هذا، الناس تعبد الحجر، وتعبد البقر، وتعبد الشجر، وعبد الملائكة وتعبد الكثير من الأشياء، فالواقع يكذب هؤلاء الناس،

وتقديرهم للخبر المحذوف بـ"موجود" ينفي كون هذه الآلهة الباطلة موجودة،

حتى في زمن النبي ﷺ كفار قريش كانوا يعلمون معناها الصحيح، لذلك امتنعوا من النطق بها ومن اعتقاد معناها الصحيح، فقد قال الله عزّ وجلّ مخبرا عنهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (36) ﴾ [الصافات/35-36]

فأخبر عنهم أنّهم كانوا يقولون "أئنا لتاركوا آلهتنا" فسموها "آلهة" وكانوا يعلمون أنّ معنى لا إله إلا الله أن يكفروا بهذه الآلهة الباطلة، كذلك جاء قوله عزّ وجلّ حكاية عنهم [أجعل الآلهة إلها واحدا] وهذا فيه أنهم كانوا يعلمون أنّ المعنى الحق لهذه الكلمة: لا معبود حق إلا الله، وأنّ هذا المعنى يقتضي أن يكفروا بما كانوا عليه من عبادة غير الله تبارك وتعالى وإفراده وحده سبحانه وتعالى بالعبادة.

لذلك قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مسائل الباب السابع عشر من كتاب التوحيد:

الباب السابع عشر هو باب قول الله تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء،

قال في مسألة من المسائل: قبّح الله مَن أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

فأبو جهل وصناديد قريش كانوا يعلمون معنى لا إله إلا الله، وفي زماننا هذا، بُسط العلم ووُجِدت فيه

الكتب والعلماء وفيه التوحيد، وعلماء التوحيد موجودون ولله الحمد، وتجد من يفسر هذه الكلمة بغير معناها الصحيح والله المستعان.

هذا باختصار معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

- **ومعنى شهادة أنّ محمدا رسول الله**: أقرُ وأعترف وأُخبر أنّ محمدا رسول من الله تبارك وتعالى، أرسله إلى الثقلين الجن والإنس.

ولابد من الاعتراف بهذا ظاهرا وباطنا، لا يصح أن يأتي إنسان وينطق بهذه الشهادة ظاهرا ولا يعتقد معناها فيكون منافقا بذلك،

وكذلك لا يصح أن يقر بهذه الشهادة في قلبه ولا ينطق بها ولا يعترف بها، مع إمكانيته لذلك ولا يمنعه مانع من ذلك.

فهذا لا يصح، مثله ما حصل من عم النبي ﷺ أبي طالب، فقد كان يعتقد بقلبه أنّه رسول الله ﷺ و أن لا معبود حق إلا الله، وأنّ الله هو الإله الحق، و أن ما كان عليه هو الكفر الصريح، ومع ذلك لم ينطق بها، وجاءه النبي ﷺ حين كان على فراش الموت، قال له: يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله لكن منعه جلساء السوء الذين كانوا معه من أن ينطق بهذه الكلمة، وتكون له حجابا من النار، والله المستعان.

هذا المعنى المختصر لشهادة أنّ محمدا رسول الله، أن توقن وتعتقد بقلبك وتنطق بلسانك أنّه رسول من الله، مرسل من الله تبارك وتعالى لجميع الثقلين الجن والإنس، خلافا لما كان عليه الأنبياء والرسل قبله، كانوا يُرسلون إلى أقوامهم خاصة ونبينا محمد ﷺ أرسله الله إلى الناس عامة، إلى جميع الثقلين الجن والإنس.

أما معناها المطول أو ما تقتضيه هذه الشهادة، فتقتضي:

1- طاعته فيما أمر ﷺ،
2- وتصديقه فيما أخبر،
3- واجتناب ما نهى عنه وزجر،
4- وأن لا يعبد الله إلا بما شرع،

فلابد من تصديقه ﷺ لأنّه الصادق المصدوق، وكان معروفا بالصدق قبل بعثته ﷺ، ولأنّه مخبرا عن الله تعالى، فكل ما يقوله ﷺ حقّ وصدق كما قال عز وجل ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) ﴾ [النجم/3-4] وقد وقع الكثير مما أخبر به النبي ﷺ ولايزال يقع،

وكذلك تجب طاعته في الأمر والنهي، لقوله تعالى ﴿ و أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ [آل عمران/132]

والآيات في طاعته كثيرة كقوله عزّ و جلّ ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء/59]

فيجب علينا امتثال أمر النبي ﷺ و اجتناب نهيه،

كذلك يجب علينا أن لا نعبد الله تبارك وتعالى إلا بما شرع، وأن نتبع النبي ﷺ فيما بينه لنا من عبادات،

وأن لا نعبد الله إلا بما جاء به نبينا محمد ﷺ،

كل الخير في اتباع النبي ﷺ، البدع سبب في عدم قبول العمل كما ذكرنا،

سبق أن ذكرنا في الدرس الماضي أنّ شرطا قبول العمل هما **الإخلاص والمتابعة**، كما قال تعالى

[ليبلوكم أيكم أحسن عملا] [الملك/2] قال الفضيل: أخلصه وأصوبه فقالوا يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه: قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وكذلك إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يُقبل، حتى يكون خالصا صوابا، الخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على سنة رسول الله، ثم قرأ رحمه الله

﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾. [الكهف/110]

فالذي يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم يعبد غير الله، ثم يذهب إلى الأضرحة يدعوهم ويطلب المدد منهم ويطلب الولد منهم، هذا نقض شهادة أن لا إله إلا الله، هذا أشرك بالله ونقض هذه الشهادة.

وكذلك من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم يقول هذه بدعة حسنة!

هذا ما فهم شهادة أن محمدا رسول الله؛ شهادة أنّ محمدًا رسول الله تقتضي اتباع النبي ﷺ، فكل أمر وكل عبادة لم يأتي بها النبي ﷺ فلا خير فيها، والخير كلّه بيّنه لنا النبي ﷺ قبل وفاته، قال الله عزّ وجلّ

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة/3] النبي ﷺ بيّن لنا كلّ شيء، كما جاء في الحديث، ما من طائر يطير بجناحيه إلا و أعطانا منه علما، وبيّن لنا حتى الخِراءة كما جاء في الحديث،

قضاء الحاجة بيّن لنا آدابها صلوات ربي وسلامه عليه،

فكيف يأتي آتٍ ويقول أنّ المولد ليس بدعة ومستحب فعله ومنهم من يقول أنّه بدعة حسنة !؟ ويأتي آخر ويقول هذا الطواف بالقبور مستحب وكذا وكذا،

أو التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته مشروع ! إلى غير ذلك. فهؤلاء ما فهموا الشهادتين والله المستعان.

الركن الثاني من أركان الإسلام هو إقام الصلاة:

ومعنى **إقامة الصلاة** ***هو أن تؤديها على الصفة التي كان يؤديها بها رسول الله ﷺ.***

وكذلك آداؤها في وقتها الشرعي، فالذي يصلي ولا يتحرى صفة صلاة النبي ﷺ فهذا لم يقم الصلاة حق إقامتها، وقد تكون صلاته غير مقبولة إذا أخلّ بركن منها أو إذا لم يأتي بشرط منها وهكذا.

كذلك من يصلي لكنه لا يصلي الصلاة في وقتها الشرعي، يترك الصلاة ويخرجها عن وقتها الشرعي لا لعذر، نحن لا نتكلم عن الذي أخّر صلاته أو أداها في غير وقتها الشرعيّ لعذر شرعي لا، نتكلم عن المتهاون، الذي يتهاون في صلاته ولا يبالي بصلاته، ثم يأتي في الليل ويقول لك أنا أصلي الصلوات الفائتة، فيصلي جميع الصلوات،

هذا نقول له: صلاتك غير مقبولة لأنّك لم تؤدها في وقتها الشرعي والله تبارك وتعالى يقول ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾، [النساء/103]

سئل النبي ﷺ قيل له أي الأعمال أحبُ إلى الله: فقال رسول الله ﷺ: الصلاة في وقتها.

الواجب على المؤمن أداء الصلاة في وقتها الشرعي إلا من عذر، وقد بيّن النبي ﷺ الأعذار الشرعية كأن ينام الإنسان ولا يستيقظ للصلاة مع اتخاذه للأسباب أو أن ينسى الصلاة مثلا، وغيرها من الأسباب التي جاء بيانها في الشرع.

كذلك من إقامة الصلاة تأديتها بحضور قلب وخشوع لقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) ﴾.[المؤمنون/1-2]

والأمر الرابع الذي يدخل إقامة الصلاة، هو إقامتها في المساجد مع الجماعة، فكلُّ مكلفٍ قادرٍ -أتكلم عن الرجال- قادر على حضور الجماعة في المساجد فهي واجبة عليه، لقوله ﷺ لابن أم مكتوم حين سأله بأن يرخص له في الصلاة بالبيت قال له النبي ﷺ: أتسمع النداء؟ قال: نعم قال: فأجب.

فلم يرخص له النبي ﷺ مع أنّه ضرير لا يرى، هذا ما يتعلق بهذا الركن.

الركن الثالث هو إيتاء الزكاة:

الزكاة لغة: هي النماء، تقول زكى الزرع إذا نمى.

وشرعًا: هي حق واجب في مال خاصٍ لطائفةٍ مخصوصةٍ في وقت مخصوص.

وهي حق فرضه الله تبارك وتعالى في أموال الأغنياء للفقراء قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24)

لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) ﴾ [المعارج/24-25]

فالواجب على المسلمين أن يؤدوا زكاة أموالهم إلى مستحقيها، وهذا رغبة فيما عند الله وحذرا من عقابه تبارك وتعالى.

وقد بين الله تعالى مستحقيها كما في قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤالفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾. [التوبة/60]

كذلك توعّد سبحانه وتعالى من منعها ولم يؤدها، توعّده بالعذاب، كما في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) ﴾ [التوبة/34-35]

فالواجب على الإنسان أن يؤديها طواعيةً عن طيب نفسٍ، وهي حق لله تبارك وتعالى،
والواجب على وليّ الأمر أيضا أخذها قهرا ممن امتنع عن إخراجها طوعًا، وكذا تأديبه وتعزيره، هذا إن كان مقرا بوجوبها، أمّا من أنكر وجوبها وأنها حق لله تعالى! هذا كافر بالله تعالى إن توفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع.

الركن الرابع هو صوم رمضان:

الصيام لغة: هو الإمساك.

وشرعا: هو التعبد لله بالإمساك عن المفَطِرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

وصوم رمضان ركن من أركان الإسلام وصومه أو وجوب صومه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فمن السنة حديثنا هذا.

وأمّا من **الكتاب** ففي قوله تبارك وتعالى ﴿ شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة/185]

وهذا شاهدنا ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ لأنه حين نزلت هذه الآية فرض الصيام على جميع المسلمين المكلفين،

وقبل ذلك كان صيام رمضان غير واجب، كان من أراد الإفطار وإخراج الفدية كان له ذلك، كما قال تعالى ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ قال سلمة بن الأكوع: لما نزلت "وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" قال: كان من أراد أن يفطر ويخرج الفدية كان له ذلك ولم يكن صيام رمضان واجبا، لكن لما نزلت "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" قال: وجب الصيام علينا جميعا.

أما الإجماع فقد نقله ابن قدامة في المغني وغيره من العلماء.

الركن الخامس من أركان الإسلام هو الحجّ:

الحج لغة: هو القصد.

وشرعا: هو قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج والعمرة تقربا إلى الله.

فالحجّ وكذا العمرة محلهما بيت الله الحرام وما حوله من المشاعر،

ولا يجوز تأدية الحجِّ والعمرة في غير هذه الأماكن، كما يفعله بعض الطوائف من أهل البدع كالرافضة يحجون إلى كربلاء، هذا باطل وغير مقبول وهو من الابتداع في الدين.

ودليل وجوب الحجِّ من كتاب الله تبارك وتعالى هو قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران/97]

- والحجّ له زمن مخصوص يؤدى فيه، لا يمكن آداؤه في أي وقت من أوقات السنة كما قال تعالى ﴿ أشهر معلومات ﴾
- أما العمرة فليس لها وقت، يمكن تأدية العمرة في أي وقت من أوقات السنة.
- والحجّ واجب مرة في العمر وما زاد عن ذلك فهو تطوع، لكن الركن يحصل بتأدية الحجّ مرة واحدة في العمر،
- أما العمرة فهي مستحبة وغير واجبة، ومن قال بوجوبها لم يصب لأنه اعتمد على أحاديث لا تصح.

بقي معنا أمر في الحجِّ، وهو أنه **مشروط بالاستطاعة**، جاء في حديث عمر السابق حديث جبريل قوله ﷺ **وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا**

وكذا جاء في الآية ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران/97]

فالحجّ مشروط بالاستطاعة.

والمراد بالاستطاعة: توفر الأسباب التي تمكن المرء من الحجِّ، ويدخل فيها المال والصحة أو نقول الاستطاعة البدنية،

وبالنسبة للمرأة توفر المحرم كذلك وفي عصرنا تأشيرة الحجِّ تدخل أيضا في الاستطاعة.

هذا باختصار ما يتعلق بهذه الأركان الخمسة.

بقيت معنا مسألة واحدة وهي أنه حصل في هذا الحديث كما ترون تقديم الحجِّ وتأخير الصيام، قال: **وحجِّ البيت وصوم رمضان**.

وهذه الرواية هي التي ذكرها البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه وبنى ترتيب الصحيح عليها، بنى ترتيب الجامع الصحيح له على هذه الرواية، فذكر كتاب الحجِّ وما يتعلق به من كتب قبل كتاب الصوم،

بينما مسلم رحمه الله أخرج الحديث لكنه أخرجه من رواية سعد بن عبيدة عن ابن عمر وجاء فيها تقديم الصوم على الحجِّ، وفيها بعد أن ذكر الحديث قول رجل لابن عمر الحجّ وصوم رمضان؟ فقال له ابن عمر:

لا، صيام رمضان والحجّ هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

وبناء على هذا حمل بعض العلماء هذه الرواية التي ذكرها النووي في الأربعين والتي خرجها البخاري في صحيحه، على أنها رويت بالمعنى وأنّ الراوي هو الذي قدم وأخّر في الحديث، والله أعلم.

هذا ما يتعلق بحديثنا سأذكر لكم في واجهة الموقع الآن أسئلة يجيب عليها الطالب، وتكون بمثابة التلخيص لمواضيع هذا الشرح، يستعين بها الطالب في المراجعة إن شاء الله، والله أعلم

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

الدرس الرابع من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (4) التاريخ: السبت 1440/3/29 هـ 2018/12/07 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فمعنا الليلةَ إن شاء الله تعالى الحديث الرابع من أحاديث الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله.

عن أبي عبد الرحمن

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ:

[إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ:

أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ:

بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ.

فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا.

وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا]

رواه البخاري ومسلم).

قال رضي الله عنه: (حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ)

الصادق: أي في قوله وفيما أخبر به ﷺ، أي أنه لا يقول إلا صدقاً،

والمصدوق: أي فيما أُخبِرَ به، أي فيما أوحي إليه ﷺ، وإنما قال ابن مسعود رضي الله عنه هذا القول لأن الحديث فيه إخبار عن أمور غيبية لا تدرك بالحس ولا بالتجربة، وإنما يجب معها التصديق والتسليم،

لماذا؟ لأن المخبر بذلك هو رسول الله ﷺ ولأن هذه الأمور جاءته عن طريق الوحي من الله تبارك وتعالى،

وفي الحديث أيضاً إخبار عن مراحل تطور الجنين في بطن أمه،

الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لم يكن لديهم علم بها فكانت بمثابة الغيب بالنسبة إليهم فلذلك

قدم ابن مسعود بهذه المقدمة رضي الله عنه، وهذا فيه أدب للمعلّم أن يهيئ الطالب لما سيلقي عليه من العلم.

قال ﷺ: **(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ)** قوله ﷺ: **(يجمع)** لأن المولود يتكون من ماء الرجل وماء المرأة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ و ﴿أَمْشَاجٍ﴾ معناها: مختلطة، هذا الماء يُجمَع في الرحم، ماء الرجل وماء المرأة يجمعان أو يجتمعان في الرحم ؛ رحم المرأة كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ والقرار المكين هو الرحم، ووصفه الله بأنه مكين لأنه سبحانه هيأه لتستقر فيه النطفة إلى بلوغ أمره الذي جعله له قراراً، بهذا النحو قال الطبري رحمه الله في تفسير الآية.

ثم قال ﷺ: **(أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً نُطْفَةً)**

والنطفة: هي القطرة من المنيّ،

لكن ***ينبغي التنبيه إلى أن لفظة نطفة هذه ليست في رواية البخاري ولا في رواية مسلم ولا في أحد الكتب الستة بل زادها بعض من أخرج الحديث من غير أصحاب الكتب الستة.***

والذي جاء في رواية البخاري ومسلم: [إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْمَاً ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ] بدون ذكر لفظة النطفة، هذه فائدة فقط في ضبط لفظ الحديث.

قال ﷺ: **(ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ):**

العلقة: هي دم غليظ متجمد، هذا معنى العلقة هنا،

أي أن هذا المني أو هذه النطفة تتحول إلى دم غليظ متجمد، لكن هنا يأتي سؤال: هل تتحول هذه النطفة فجأة إلى علقة؟ الجواب لا، تتحول شيئاً فشيئاً خلال أربعين يوماً.

قال: **(ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ)**

المضغة ما هي؟ المضغة: هي قطعة لحم على قدر ما يمضغه الإنسان، تسمى مضغة،

فهذا الدم يتحول إلى قطعة اللحم هذه في الأربعين يوماً الثالثة، وفي هذا الطور-طور المضغة -تتخلّق أعضاء الجنين ويتبين شكله،

وقد جاء بيان هذه الأطوار في كتاب الله تبارك وتعالى كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ هذا ذكر الأطوار في كتاب الله تبارك

وتعالى، وجاءت أيضاً مذكورة في آيات أُخر ليس هذا محل ذكرها جميعها.

ثم قال ﷺ: **(ثُمَّ يُرْسَلُ إليه المَلَكُ)** لكن قبلها نذكر أن الملك يرسَل بعد انتهاء هذه المدة.

والمدة هي مائة وعشرون يوماً، أربعون يوماً ثم أربعون يوماً ثم أربعون يوماً، يعني تمام المئة وعشرين، يعني أربعة أشهر،

إذا انتهت الأربعة أشهر وفي بداية الشهر الخامس يرسَل الملك

(فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ) ينفخ الروح في هذا الجنين، يعني في رحم أمه فيكون حياً بإذن الله تبارك وتعالى،

والروح هذه سرٌّ من أسرار الله تبارك وتعالى لا يعلم البشر حقيقتها،

وقد سئل عنها النبي ﷺ فأمره الله تعالى أن يقول كما جاء في الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلا أحد يعلم حقيقة هذه الروح إلا الله تبارك وتعالى خالقها هو الذي يعلم حقيقتها،

الروح تخرج من جسد الإنسان عند نومه وتسمى هذه الوفاة الصغرى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾

وتخرج كذلك الروح عند موت الإنسان وتسمى هذه الوفاة الكبرى، قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يعني ملك الموت وأعوانه، يخرج ملك الموت روحه من جسده، هذا ما يتعلق بالروح.

فالجنين إذا نُفخت فيه الروح كان حياً فإذا وُلد بعد ذلك ميتاً - قد يموت في بطن أمه، أو يولد ويخرج من بطن أمه حيا ثم يموت- فإنه تجري عليه الأحكام الفقهية المعروفة فيسمى ويُعَقّ عليه ويغسّل ويكفّن ويصلى عليه ويدفن،

أما قبل النفخ فلا، يعني لا تجري عليه هذه الأحكام، لماذا؟ لأنه لم يحيَ قط، لم يحيَ قط، بل هو ميت، كذلك إذا نفخت فيه الروح فلا يجوز إسقاطه، لا يجوز إسقاطه بحال لأنه حينئذ يكون إنسانا حياً ولا يجوز قتل الحي إلا بمسوغ شرعي، فهذا يعني التفصيل فيه،

أما ما يتعلق بأمه فإنه إن سقط منها قبل نفخ الروح لكن تبيّنت صفات بني آدم في هذا السقط -تبيّن رأسه ويديه ورجليه إلى غير ذلك - فإنه يكون لأمه حكم النفساء فلا تصلي ولا تصوم إلى غير ذلك مما هو معروف من أحكام النفساء، هذا إن سقط قبل نفخ الروح لكن تبيّنت فيه صفات بني آدم، أما هو كما سبق فإنه لا يأخذ حكم الموتى فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه إلى غير ذلك، يدفن فقط، لأنه لم يحيَ قط، أما إن سقط قبل نفخ الروح ولكن لم تتبيّن فيه الصفات فإنها ليست حينئذ نفساء، الدم الذي ينزل

منها يعتبر دم فساد فقط، فتصوم وتصلي إلى غير ذلك، هذه بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالسقط.

ثم قال ﷺ: **(وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ)** الكلمات التي يأمر اللهُ الملكَ بكتابتها هي خاصة بهذا الجنين، يعني ليست عامة، عندنا كتابة عامة لجميع الخلق وهذه الكتابة كما سبق في الحديث الثاني في اللوح المحفوظ، وهذه الكتابة التي ذُكرت هنا هي كتابة خاصة بهذا الجنين تُنقّل من اللوح المحفوظ، هذه الكتابة التي يكتبها الملك في صحيفة تنقل من اللوح المحفوظ وليست كتابة جديدة، وهذا يسميه العلماء: التقدير العمري، وأما الأول فيسمى التقدير العام - ما كتب في اللوح المحفوظ -.

قال: **(وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ)**

والرزق نوعان:

1- رزق يقوم به البدن وهو الأكل والشرب واللباس وغير ذلك،

2- ورزق يقوم به الدين وهذا النوع الثاني وهو العلم والإيمان والأعمال الصالحة وغيرها،

قال: **(وَأَجَلِهِ)**، **(بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِه)**

أجله: أي مدة بقائه في هذه الحياة الدنيا

(وَعَمَلِهِ) أي: عمل هذا الجنين من قول أو فعل، أقصد بالجنين عندما يولد ويصبح إنسان، يكتب عمله، والمقصود بالعمل القول أو الفعل، يعني كل ما يصدر من هذا الإنسان،

قال: **(وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ)** قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾

وقال أيضاً: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾،

نسأل الله أن يجعلنا من الذين سُعدوا.

هذه هي الكلمات الأربع التي يؤمر الملك بكتابتها في صحيفة هذا الجنين،

ولا يفهم أحد من هذا أن العبد مجبر على فعله، يأتي ويقول خلاص كل شيء كتب ولمَ يعمل الإنسان؟،

لا، الإنسان، الله تبارك وتعالى خلقه وجعل له مشيئة واختياراً فهو يعمل بمشيئته واختياره،

ومشيئة العبد لا تخرج عن مشيئة الله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾،

كذلك العبد لا يخلق فعله بل الله تبارك وتعالى هو خالق كل شيء حتى أفعال العباد مخلوقة لله تبارك وتعالى. فالله سبحانه وتعالى بعلمه الأزلي علم ما الخلق عاملون وعلم أن زيداً من الناس هذا سيكون من

أهل السعادة مثلاً وسيفعل كذا وكذا من الخير وسيكون من أهل السعادة، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة،

وحين كان هذا الشخص في بطن أمه أرسل إليه الملك ليكتب، أمره بكتب ما كان مكتوباً بخصوصه في اللوح المحفوظ، أمره بكتابته في صحيفته، هذا معنى الحديث،

وكل شيء سبق في علم الله تبارك وتعالى.

فالحاصل أن الإنسان له مشيئة وله اختيار، والإنسان يعمل أعماله بمشيئته واختياره، لكن مشيئة الإنسان واختياره لا تخرجان عن مشيئة الله تبارك وتعالى، أرجو أن يكون هذا مفهوماً.

ثم قال في الحديث: (فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)

اختلف العلماء هنا في هذه الجملة: أهي من كلام ابن مسعود أم من كلام النبي ﷺ؟

بعبارة أخرى أهي مدرجة في الحديث أم هي من كلام النبي ﷺ؟

الخلاصة، الكلام هنا فيها كثير، لكن الخلاصة هي أن القَسَمَ وحده فقط من كلام ابن مسعود وأما المقسَم عليه - باقي الكلام - فهو من كلام النبي ﷺ وليس مدرجاً في الحديث وهذا ما ذهب إليه ابن حجر رحمه الله في الفتح وقال أنه غاية التحقيق في المسألة، فيكون قوله: (فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ) هذا هو فقط المدرج في الحديث – يعني من كلام ابن مسعود رضي الله عنه -، أما باقي الكلام من قوله: (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ.....) إلى آخر الحديث كله هذا من كلام النبي ﷺ،

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر رحمه الله.

هذا المقطع من الحديث يبينه حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في الصحيحين وهو أن النبي ﷺ ذُكِر عنده أحدهم وكان شديداً على الكفار في الجهاد فقال فيه: [هو من أهل النار] أي لما ذكر هذا الشخص عند النبي ﷺ قال: [هو من أهل النار]، فاتّبعه أحد الصحابة حتى ينظر لمَ قال النبي ﷺ فيه هذه المقالة، فوجده جرح في المعركة، جرح بجروح بليغة شديدة ولم يصبر عليها، فلما جاء الليل وضع نصل سيفه على الأرض وذبا به على صدره ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بالخبر، قال: أشهد أنك رسول الله، لماذا؟ لأن النبي ﷺ أخبر بأمر غيبي وصدق فيما قال ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: [إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة]،

وزاد البخاري في رواية له، قوله ﷺ: [إنما الأعمال بالخواتيم] في آخر الحديث، فبيّن قولُه ﷺ: [فيما يبدو للناس] أن حقيقة الأمر غير ما يظهر وأن خاتمة السوء قد تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس فتوجب تلك الدسيسة سوء الخاتمة والعياذ بالله كما قال الحافظ ابن رجب، الحافظ ابن رجب له كلام جميل في هذا الحديث في آخر كلامه عن هذا الحديث فليراجعه من شاء، لذلك كان السلف رحمهم الله يخافون من سوء الخاتمة حتى قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يعني يقولون: بماذا يُختَم لنا؟،

وقلوب المقربين معلقة بالسوابق يقولون: ماذا سبق لنا؟، يعني الأمر ليس سهلاً، والعبرة بالخواتيم، كما قال النبي ﷺ: [إنما الأعمال بالخواتيم].

نسأل الله تعالى أن يسدد أقوالنا وأعمالنا وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يقينا شر أنفسنا وشر الشيطان وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه، إنه جواد كريم.

نمر الآن إلى الحديث الذي بعده،

حديثنا الثاني في هذه الليلة هو حديث أم المؤمنين **أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: (قَالَ رَسُوْلُ اللهِ: (مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) رواه البخاري ومسلم**

وفي رواية لمسلم (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))

هذا الحديث حديث عظيم وهو أصل من أصول الإسلام سبق وأن قلنا في الحديث الأول حديث: **[إنما الأعمال بالنيات]** قلنا أنه ميزان الأعمال في باطنها، وحديث عائشة هذا هو كالميزان للأعمال في ظاهرها، وكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تبارك وتعالى فإنه مردود على صاحبه وليس له فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله أو أمر رسوله ﷺ فهو مردود وغير مقبول، فلذلك كان هذا الحديث حديثاً عظيماً وأصلاً عظيماً من أصول الإسلام ينبغي العناية به وفهمه فهماً جيداً،

قوله ﷺ: **(مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا)**

من أحدث: أي من أوجد، من أوجد عبادة ليس عليها أمرنا، ليس عليها دليل لا من كتاب ولا من سنة، قال: **(فَهُوَ رَدٌّ)**، **(مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)** أي مردود على صاحبه غير مقبول، فالعبادة التي ليس عليها أمر الشارع مردودة لأنها تفتقر إلى شرط المتابعة،

وقد ذكرنا فيما مضى من الدروس أن شرطا قبول العمل هما الإخلاص والمتابعة،

والبدعة تخالف هذا الشرط، فهي مردودة على صاحبها، وحسن النية والقصد لا يكفي وحده بل لا بد أن يُضم إليه صواب العمل وأن يكون هذا العمل على وفق الشرع وإلا كان مردوداً على صاحبه، ومن هنا

إخواني - بارك الله فيكم - تعلمون أهمية العلم بالكتاب والسنة وأنه نور ينير لك الطريق، يعلمك أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما العبرة بأن تكون عبادتك مقبولة عند الله تبارك وتعالى،

كيف تكون مقبولة؟ تكون مقبولة ***إذا كانت خالصة لوجه الله تبارك وتعالى وكانت صواباً*** على وفق ما جاءت به الشريعة،

كيف تعلم أن هذه العبادة صواب على وفق ما جاءت به الشريعة؟

تتعلم هذا بالعلم، قد مرّ معكم في ثلاثة الأصول مع أخينا الشيخ علي حفظه الله قوله: [باب العلم قبل القول والعمل] هذا تبويب البخاري رحمه الله في صحيحه،

العلم لا بد أن يسبق القول والعمل، لماذا لا بد للعلم أن يسبق القول والعمل؟

لأن المرء إذا عمل العبادة على غير ما جاءت به الشريعة فإن عبادته تلك تكون مردودة عليه، فالله الله يا إخواني في طلب العلم والجد في تحصيله والمثابرة في سبيل ذلك.

إذا تقرر هذا يا إخوة ففي الحديث رد على من يقسّم البدع إلى بدع حسنة وبدع سيئة، فالحديث لم يستثن ما يسمونه بالبدع الحسنة،

ويقولون مثلاً عن بدعة الاحتفال بالمولد إنها بدعة حسنة،

ويسمون بعض البدع الأخرى كالذكر الجماعي مثلاً يسمونه بدعة حسنة،

هذا الحديث فيه رد عليهم والنبي ﷺ لم يستثن فيه أي شيء فقال: (مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)

نأتي ونسأله: هل هذه الأمور، هل هذه العبادات التي أحدثتموها هي من شرع الله؟

الجواب: إن قالوا نعم، قلنا: هاتوا الدليل،

وإن قالوا: لا، قلنا لهم: الحديث يرد عليكم، كذلك قوله: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) أيضاً في الرواية، رواية مسلم، أيُّ عمل ليس عليه أمر النبي ﷺ ولا أمر الله تبارك وتعالى فهو مردود على صاحبه.

ليس في الدين شيء اسمه بدعة حسنة،

ولهذا جاء في خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يبتدئ بها أموره وخطبه قوله ﷺ: [وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة] سمى النبي ﷺ كل محدثة بدعة،

وقال أن كل بدعة ضلالة، لم يستثن الحسنة من السيئة، ولا يوجد شيء اسمه بدعة حسنة لأن من قال أن في الإسلام كما جاء عن بعض السلف لا أذكر اسمه الآن، أن من قال إن في الإسلام بدعة حسنة فقد زعم أن محمداً قد خان الرسالة، لماذا؟ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

﴿ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

فديننا قد كَمُل، ومن يزعم أن في الإسلام شيئاً حسناً أو عبادة حسنة وأنه لا يوجد عليها دليل، إذا لم يوجد عليها دليل فهذا يعني أن النبي ﷺ لم يبلغنا إياها،

وإذا كان النبي ﷺ لم يبلغنا إياها فهذا يعني أنه ﷺ قد خان الرسالة، وحاشاه.

فإذا تقرر هذا يا إخوان وتبيّنت لكم خطورة البدع فأحب أن أنبه إلى أن العلماء يقسمون البدع إلى قسمين:

1- بدع حقيقية
2- وبدع إضافية،

- أما البدع الحقيقية فهي أن يأتي الإنسان بعمل ليس له أصل في الشرع بتاتاً،

تأتي بعمل ليس له أصل في الشرع كما يفعل الصوفية الآن يتعبدون إلى الله بالغناء والرقص والله المستعان، فهذه بدع حقيقية ليس لها أصل في الشرع إطلاقاً،

- أما البدع الإضافية فهي أن تكون هذه البدعة لها أصل في الشرع كأن تكون صلاةً أو ذكراً أو صياماً أو غير ذلك لكن يضاف إليها شيء آخر كأن تخصَّص بزمن أو تخصص بهيئة أو تخصص بعدد أو يضاف إليها اعتقاد فتصير بدعة بسبب هذ الشيء المضاف،

مثاله: كمن يخصص ليلة النصف من شعبان بالدعاء وطلب المسامحة إلى غير ذلك مما يحدث في هذه الليلة

أو كمن يحافظ على القنوت في صلاة الفجر ويدخل فيها أيضاً المداومة على رفع اليدين في الدعاء بعد الصلوات المفروضة

ويدخل فيها أيضاً قول العامة: تقبل الله بعد الصلاة،

إلى غير ذلك مما يدخل في هذه البدع الإضافية.

والبدع أيضاً قد تكون في المعتقد كبدع الجهمية والمعتزلة وغير ذلك، فهؤلاء قد أحدثوا بدعاً في العقائد، البدع ليست مخصوصة في الأقوال والأعمال بل قد تكون أيضاً في العقيدة،

هذا خلاصة ما عندي في هذه الليلة، والله أعلم،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت،

أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الخامس من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (5) التاريخ: السبت 1440/04/08 هـ 2018/12/15 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فحديثنا الليلة هو **الحديث السادس** من أحاديث الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله.

قال رحمه الله: **(عَنْ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيْرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: "إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُوْرٌ مُشْتَبِهَات لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاس، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِه، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرتَعَ فِيْهِ. أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً. أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ القَلْبُ" رواه البخاري ومسلم).**

- راوي الحديث هو النعمان بن بشير بن سعد رضي الله عنهما،
- هو وأبوه صحابيان
- توفي النبي ﷺ وعُمر النعمان ثمان سنوات،

وقد قال في روايته لهذا الحديث، قال: **(سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ)**

فهذا الحديث سمعه مباشرة من رسول الله ﷺ، وهو من الأدلة - يعني هذا الحديث - من الأدلة على صحة تحمّل الصبي المميز وقَبول ما تحمّله في الصغر إذا أدّاه في الكِبَر،

هذه فائدة في مصطلح الحديث ستمرّ معكم إن شاء الله في دروس المستوى الثاني والثالث.

هذا الحديث حديث عظيم وهو دليل على قواعد مهمة في ديننا سيأتي الكلام عنها إن شاء الله في أثناء شرحنا،

وكما سبق في الدرس الأول وأظن أيضاً في الدرس الثالث أن هذا الحديث عدّه العلماء أحد الأحاديث التي يدور عليها الإسلام؛ لأن فيه بيان أن الأحكام ثلاثة أقسام:

- القسم الأول **حلال بيّن يشترك في معرفته كل أحد،**
- والقسم الثاني: **حرام بيّن يشترك في معرفته كل أحد،**
- وبين القسمين، يعني هذين القسمين، **أمور تشتبه على كثير من الناس،** يعني أهي حلال أم حرام؟،

لكن هذه الأمور واضحة وحكمها معروف عند أهل العلم، وهذا في قوله ﷺ: (إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُوْرٌ مُشْتَبِهَات)

فهذه هي الأقسام الثلاثة، الحلال البيّن والحرام البيّن والمشتبهات.

- **أما الحلال البيّن** كقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ فجميع الطيبات حلال لا اشتباه فيها، كالخضر والفواكه والزرع وغيرها، كل هذه من الطيبات،

كذلك جميع العقود والمعاملات المشروعة أيضاً هذه من الحلال البين كالبيع الواضح، النكاح الواضح وغيرها،

- **أما الحرام البين** فكتحريم الفواحش والخمر والميسر وأكل الميتة وغيرها كما قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...... ﴾ إلى آخر الآية، كل هذه داخلة في الحرام الواضح الذي يعلمه جميع الناس ويشتركون في معرفته،

- **أما المشتبهات** فقد فسّرها العلماء بعدة تفاسير، وذكروا لها عدة أمثلة لكن الصحيح من أقوالهم هو ما ذكرناه سابقاً وهو أن المشتبهات هي ما لم يتضح حكمه للمرء واشتبه عليه، هذا يعدّ من المشتبهات، لا يدري أحلال هو أم حرام؟،

لكن هنا لا بد من بيان شيء ألا وهو أن الله تبارك وتعالى قد بيّن لنا كل شيء في كتابه، والنبي ﷺ بلغ لنا كل شيء وبيّن لنا ﷺ كل شيء،

قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

وقال ﷺ: [تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ]

فالدين قد كمل والأحكام الشرعية مبيَّنة ولله الحمد في شريعتنا، لكن ثمة أمور أدت إلى ظهور الحكم الشرعي في بعض المسائل وخفائه في مسائل أخر مما أدى إلى اشتباهها على الناس، الناس قد يعلمون وتتضح عندهم أمور كثيرة في ديننا ويعلمون حكمها ويعلمون أنها حلال وأمور يعلمون أنها حرام، لكن في أمور تشتبه عليهم، لا يدرون أهي حلال أم حرام، خاصة الأمور الحادثة، الأمور الجديدة التي تستجد، فهذه الأمور تشتبه على الناس، لكن ليس كل الناس، أهل العلم ولله الحمد والعلماء الراسخون يعلمون

أحكام هذه الأمور،

فلا يوجد في شريعتنا وفي ديننا مسائل يخفى حكمها على جميع الناس حتى العلماء، لا، هذه لا توجد ولله الحمد، الأمور تشتبه على عامة الناس وعلى أنصاف المتعلمين وعلى طلبة العلم لكن العلماء والراسخون في العلم يعلمون أحكامها ولله الحمد، كما قال ﷺ: [لَا تَزَالُ طائفة مِنْ أُمَّتِي على الحق ظاهرين لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ] ولقوله ﷺ أيضاً: [لا تجتمع أمتي على ضلالة] فوصف النبي ﷺ هذه الطائفة أنهم ظاهرين على الحق، أي أنهم دائماً على الحق وهم ظاهرون عليه، ووصف الأمة أيضاً أنها لا تجتمع على ضلالة،

لكن كما قلنا قد يشتبه الحق على كثير من الناس لأسباب، نذكر من هذه الأسباب:

- **عدم ظهور الدليل في المسألة**، قد لا يطلع كل العلماء على الدليل ولذلك لا تتضح أدلة المسألة وتخفى على بعض أهل العلم وعلى من يتّبعهم من الناس،
- الأمر الثاني: **أن السلف قد اختلفوا في مسائل**، فتأخذ طائفة من العلماء أحد القولين في المسألة بينما يأخذ العلماء الآخرون القول الثاني في المسألة ويؤدي هذا الاختلاف إلى اشتباه الأمر عند عامة الناس وعند من ليس عنده تصور جيد لهذه المسألة،
- الأمر الثالث الذي يورث هذا الاشتباه في المسائل: **أن العلماء قد يختلفون في ثبوت الدليل فيصح الدليل عند بعضهم بينما لا يصح عند الآخرين**، وهذا قد يؤدي إلى الاشتباه في الحكم، فبعض الناس يسمع أن العالم الفلاني يستدل بحديث على حكم مسألة معينة بينما الآخرون يسمعون من غيره أن هذا الحديث ضعيف وأن حكم المسألة كذا بناء على ضعف الدليل فيحدث هذا عنده نوع من الاشتباه ونوعاً من عدم الوضوح،
- كذلك **يختلف العلماء** في - كما يسميه أهل الأصول - **في تحقيق المناط، في: هل هذا الدليل يخص هذه المسألة وهل هذا الدليل يبنى عليه حكم هذه المسألة أم لا يبنى عليه**؟، فهذا من الأمور التي تؤدي إلى اشتباه الحكم ويؤدي بالناس إلى عدم معرفة حكم هذا الشيء أحلال هو أم حرام،

من أمثلة الشبهة أو الاشتباه ما جاء في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: "يا رسول الله! إنِّي أُرْسِلُ كَلْبِي وَأُسَمِّي فأجد معه على الصيد كَلْبًا آخَرَ"، يعني اشتبه الأمر على عدي أهذا الصيد صاده كلبه الذي سمّى عليه أم هو من الكلب الآخر الذي يجهل حاله، فاشتبه عليه الأمر ولا يدري أيأكل من هذا الصيد وهو يكون حلال أم لا، فقال له النبي ﷺ: [لَا تَأْكُلْ، إِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى غَيْرِهِ]،

وهذا مثال للشبهة ولما يجب أن يفعله الإنسان إذا عرضت عليه مثل هذه المسائل، الواجب عليه أن يردّها

إلى عالمها، قال ﷺ - أي في الحديث - قال: (فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِه)،

قال العلماء: المشتبهات ثلاثة أقسام، المشتبهات ثلاثة أقسام:

1- **قسم يعلم الإنسان أنه حرام ثم يشك فيه هل زال تحريمه أم لا؟**

فهذا يبقى على أصل التحريم حتى يتيقن حِلَّه، ومثاله حديث عدي هذا الذي ذكرناه،

فالأصل في هذا الصيد ما هو؟ هو أنه حرام إلا إذا كان مما صاده كلب عدي وبذلك يكون حلالاً،

فلما وقع الشك ولم يدر عدي أصاده كلبه أم غيره من الكلاب التي ليست معلَّمة فهنا ماذا يُفعَل، نبقى على الأصل وأن هذا الصيد لا يجوز.

2- القسم الثاني: **قسم يعلم الإنسان حِلَّه ثم يأتي ما يشكّكه في حله ويشتبه عليه.**

فهذا نقول له ابق على الأصل، ابق على الحل ولا تنظر إلى ما طرأ على هذا الأصل، يعني كمن شك في الطهارة، يعني إنسان يكون على طهارة ثم يأتي ما يشككه في هذه الطهارة فيسألك يقول لك: أعيد الوضوء أم لا أعيد مثلاً،

تقول له: **استصحب الأصل** وهو أنك على طهارة وهو الأمر الذي أنت متيقن منه، أنت متيقن أنك كنت على طهارة وأنت شاك في انتقاضها فتبقى على ما أنت متيقن منه من أنك على طهارة ولا تنظر إلى ما طرأ عليها، أي الشك.

3- والقسم الثالث: هو **أن يشك الإنسان في شيء ولا يدري أحلال هو أم حرام؟**،

يعني لا يكون معه أصل يبني عليه، والأمر عنده يحتمل أن يكون حلالاً أو حراماً،

فهذا **نقول له: الورع أن تترك هذا الشيء وتتنزّه عنه**، ومثاله ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال:

[مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ ، بِتَمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ فَقَالَ: «لَوْلاَ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً لَأَكَلْتُهَا»]

فتورع النبي ﷺ عن أكله هذه التمرة خشية أن تكون من الصدقات، فلم يكن معه أصل يبني عليه ويستصحبه، لذلك تورّع عنها ولم يأكلها،

فبهذا التقسيم يتبين لنا ما على المرء فعله تجاه المشتبهات، خاصة إذا كانت من القسم الثالث، إذا كانت من القسم الثالث لا يدري أهي حلال أم حرام، ولا يدري أصلها، لا يكون عنده أصل في هذه المسألة، فماذا يفعل؟ الواجب عليه، أن يرُدَّ هنا الشبهة لعالمها وأن لا يواقعها، يرد هذه الشبهة ولا يرتكبها، هذا الواجب عليه في هذه الحال، إذا ردّها إلى عالمها سيجيبه العالم بعلم ويقين وهو أيضاً يعمل عمله عن علم ويقين، إن أجابه بأنها حلال فعل هذا الشيء عن علم وإن أجابه بأنه حرام ترك هذا الشيء عن علم.

قوله ﷺ: **(فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ)**

أي جعل بينه وبينها وقاية وحماية، وهذه الوقاية والحماية كيف تكون؟ تكون بسؤال أهل العلم الذين

أمرنا الله تبارك وتعالى بالرجوع إليهم وذلك حتى يصدق فينا جواب الشرط وهو قوله: **(فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِهِ)** يعني أن مَن ترك المشتبهات عملاً بقوله ﷺ: **(فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ)** فقد طلب البراءة لدينه وعرضه،

فالذي يسأل أهل العلم عمّا خفي عنه من أمور الدين فهذا لا يقدح فيه، لا يقدح لا في دينه لأنه عمل بموجب الحديث وعمل بموجب فتوى أهل العلم الذين سألهم وكذلك لا يطعن في عرضه وهو يصون عرضه من السب والتنقص،

أما من ارتكب المشتبه وهو يعلم أنه مشتبه فهذا عرّض دينه للخطر من جهتين:

- الجهة الأولى: أنه إما أن يرتكب هذا المشتبه وهو لا يدري حكمه فيعلم بعدها أنه ارتكب محرماً،
- والأمر الثاني: أنه قد يكون ارتكابه لهذا المشتبه ذريعة ومسوغاً لارتكاب المحرم،

يتدرج ويغويه الشيطان في كل مرة وتسول له نفسه العمل بالمشتبهات حتى يهون عليه ويسهل عليه ارتكاب الحرام، وهذا هو معنى قوله ﷺ: **(وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ)**

فإما أن يقع في الشبهة ويجد نفسه قد وقع في أمر محرم بعد أن يعلم الحكم،

وإما أنه بارتكابه لهذا المشتبه ووقوعه فيه يسهل عليه ويموت قلبه ويرتكب الحرام بلا أدنى تأنيب للضمير، فمن فعل ما ذكرنا، مَن إذا جاءه الأمر توقّف حتى يسأل أهل العلم عن حكمه ويعمل بموجب فتواهم فهذا هو الذي يستبرئ لدينه وعرضه،

ومن لم يفعل ما ذكرنا هذا لم يستبرئ لعرضه ولا لدينه وجعل عرضه موضعاً للذم والقدح، والله المستعان.

ثم قال النبي ﷺ: **(وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ)**

ثم ضرب مثلاً ﷺ فقال: **(كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى)** أي المكان المحمي

(يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ) أي أن يقع فيه،

ثم قال: **(أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً)**

الحمى كما قلنا هي الأرض المحمية أو المكان المحمي، كانوا يجعلون مساحات فيها الكلأ والعشب حمىً محرمة، كانت في عهد النبي ﷺ وكذا حمى عثمان وعمر رضي الله عنهما أماكن من أجل إبل الصدقة، من أجل أن يرعى فيها إبل الصدقة ويأكل من الكلأ والعشب الذي فيها،

فإذا جاء مثلاً الراعي واقترب من حمى شخص معين سواء كان ولي الأمر أو غيره من الناس فإن غنمه قد تدخل إلى هذه الحمى خاصة إذا كان فيها العشب الكثير المخضر،

لكن إذا ابتعد عنها واحتاط لدينه واحتاط حتى لا تقع غنمه وإبله في هذه الحمى فإن احتمالية ذلك تقل،

فهذا هو مثل من يرتكب المشتبهات ومن يتورع عنها،

فكما جاء في الحديث: **(أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ)**

حمى الله هي محارمه، هي المحرمات،

فالذي يرتكب المشتبهات فكما قلنا سابقاً:

- إما أنه واقع في المحرمات
- وإما أن فعله هذا يكون ذريعة للوقوع في المحرمات ووسيلة إليها،

ويؤيد ما نقول أنه جاء في رواية حديث النعمان هذا عند البخاري وهذه الرواية ليست في مسلم، جاء فيها قوله ﷺ: [فمن ترك ما شُبِّه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حِمى الله]

فهذه الرواية لحديث النعمان تبين بوضوح ما قلناه، وهذه الرواية هي من الأدلة التي تبنى عليها قاعدة: سد الذرائع، فإذا كان ما يريد فعله الإنسان ذريعة أو وسيلة للوقوع في الحرام فإن الواجب عليه تركه والبعد عنه، يؤيد ما نقول قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ فالله تعالى لم ينهانا عن الزنا فقط بل نهانا عن قرب الزنا، قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ ، وهذا النهي منه تبارك وتعالى يشمل جميع الوسائل التي تؤدي إلى الزنا كالاختلاط والخلوة والنظر المحرم.... إلى غير ذلك، ومن هذا المنطلق - عدم الاقتراب من الحمى؛ حمى الله تبارك وتعالى، وترك المشتبهات –

ورد عن كثير من سلفنا الصالح أنهم كانوا يتركون شيئاً من الحلال مخافة الوقوع في الحرام، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: [تمام التقوى أن يتقيَ اللهَ العبدُ حتى يتّقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً حجاباً بينه وبين الحرام]،

وقال ميمون بن مِهران: [لا يسلم للرجل الحلالُ حتى يجعلَ بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال]،

كذا جاء أيضاً قول الحسن، قال: [ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام]،

وقال سفيان بن عيينة أيضاً: [لا يصيب عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال وحتى يدع الإثم وما تشابه منه]،

فالله الله إخواني في الورع، وإذا اشتبه علينا أمر فلم نعلم حكمه فالأولى بنا أن ندعه وأن نتركه إلى أن يستبين لنا حكمه، ما تورّع عبدٌ قطّ ونَدِم، إذا تورع الإنسان في أمر اشتبه عليه فإنه بإذن الله لن يندم لكن إذا فعله فقد يفعل المحرم وسيندم على ذلك لذلك جاء قول سفيان الثوري، قال: [ما رأيت أسهل من

الورع، ما حاك في نفسك فاتركه].

والعلماء قسموا الورع إلى أقسام، قالوا:

- **القسم الأول: هو ورع الصدّيقين**: وهو ترك ما لم يكن فيه بيّنة واضحة على حلّه،

يعني الصديقون يتركون الأمور التي ليست عندهم فيها بينة واضحة على أنها حلال فإنهم يتركونها.

- **القسم الثاني: هو ورع المتقين**، قالوا: وهو ترك ما لا شبهة فيه ولكن يُخشى أن يجرّ إلى الحرام، يعني يتركون أموراً لا شبهة لهم فيها، لكن يخشون أن تؤدي بهم هذه الأمور إلى الحرام، فهذه يتورعون عنها ويتركونها وهذا هو ورع المتقين.

- **القسم الثالث: هو ورع الصالحين**: وهو ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم، لكن بشرط، انتبهوا جيداً هذا قيد مهم، قلنا: ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم بشرط أن يكون لذلك الاحتمال موقع، فإذا لم يتحقق هذا الشرط فيكون هذا الورع ورع الموسوَسين، لا يصبح ورع الصالحين،

الصالحون يتركون ما يتطرق إليه احتمال التحريم بشرط أن يكون لذلك الاحتمال موقع، لا يكون توهّم، لكن الذين يتّبعون الوساوس يتركون ما يتطرق إليه احتمال التحريم ولو كان هذا الاحتمال غير وارد، ولو كان هذا الاحتمال لا بيّنة عندهم عليه،

ويمثل العلماء لورع الموسوسين بشخص يترك أكل الصيد خشية أن يكون الصيد لإنسان ثم أفلت منه، يعني يقول لك: إذا صاد الإنسان طائرا وأراد أن يأكله يقول لك: أنا لا آكل من هذا الطائر خشية أن يكون هذا الطائر كان ملكاً لإنسان وأفلت منه وأنت اصطدته،

انظر الوسواس إلى أين يؤدي بالناس،

وأيضاً يمثلون له بشخص يترك الشراء من الناس الذين هم مجهولون عنده لأنه لا يدري أمالهم حلال أم حرام؟ ولا علامة تدل على أن مالهم حرام أو مشتبه فيه، فهذا من الأمثلة التي يمثّلون بها لورع الموسوسين،

قد عقد البخاري رحمه الله باباً في صحيحه من أجل هذا،

فقال: [بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ الوَسَاوِسَ وَنَحْوَهَا مِنَ الشُّبُهَاتِ] وذكر فيه حديثين وتكلم عن هذه الأمور وذكر هذه الأقسام وزاد عليها قسماً رابعاً.

بقي معنا قوله ﷺ: **(ألا وإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ القَلْبُ)**

هذه الجملة الأخيرة فيها بيان أن جِماع ما ذكرنا من صلاح العبد وتورّعه عن المشتبهات وتحرّكه نحو الطاعات الواضحات إنما هو بحسب صلاح قلبه فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما

يحب وكذا خشيته سبحانه وتعالى وخشية الوقوع فيما لا يرضى ويكره، فإن حركات جوارحه كلها ستصلح وتستقيم،

أما إذا كان قلبه فاسداً استولى عليه هواه وغلبه الشيطان، فإن حركات جوارحه ستتبع ذلك وتتبع إرادة قلبه وتجرّه للمعاصي والآثام، فهذه العبارة دليل على التلازم بين الظاهر والباطن، أن الظاهر هو عنوان الباطن،

فالله الله يا إخوان في إصلاح القلوب وتصحيح النيات، تجد الآن خلقاً كثيراً ومنهم من يطلب العلم أو ينتسب إلى العلم ويهتم بمسائل الحلال والحرام لكنه للأسف لا يهتم بإصلاح قلبه، تجد الواحد منهم قلبه ممتلئ غلاً وبغضاً وحسداً اتجاه إخوانه وهذا قد يعرّضه لغضب الله وسخطه،

هذه الأمراض التي تصيب القلب قد توصل إلى رد الحق ومجانبته ومعاداة أهله،

كذلك حب الدنيا يورد صاحبه المهالك ويجعله يرتكب أنواعاً من المحرمات ناهيك عن المشتبهات،

وكذلك حب الرياسة مهلك، حب الرياسة - إخواني - مهلكٌ سواء كان في الدين أو في الدنيا، وقد رأينا ماذا فعل بكثير من الناس، الله المستعان،

لذلك كان النبي ﷺ يكثر من قول: [يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك]، القلوب كما جاء في الحديث بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء

فعلى المرء أن يتخذ الأسباب الشرعية التي تثبته وتصلح قلبه ومن أعظم هذه الأسباب دعاء الله سبحانه وتعالى والبعد عن المعاصي والبعد عن الشهوات والبعد كذلك عن الشبهات، فهذه من الأمور التي تعين على المحافظة على صلاح القلب، فبصلاح قلبك يا أخي تكون نجاتك،

يعني إن أحسست أن قلبك يفسد ويبتعد عن الله تبارك وتعالى فاتخذ الأسباب التي تقربك من الله والتي تبعد عنك هذه الأمور، يعني اقرأ القرآن، تدبر معانيه، تضرع إلى الله، صلّ بالليل وتضرع إلى الله سبحانه وتعالى واسأله الثبات واسأله التوفيق والسداد،

الكلام كثير وهذا باختصار ما يتعلق بحديثنا هذا،

وأعتذر إن كنت أطلت فقد حاولت الاختصار قدر الإمكان، والله المستعان،

وأخيراً أريد أن أنبّه على أمر فقط وهو أن كثيراً من الإخوة راسلني على البريد؛ بريد المعهد ولم أرد عليهم حتى الساعة فأعتذر منكم حفظكم الله فقد شُغِلت قليلاً وسأرد في القريب العاجل إن شاء الله تعالى،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس السادس من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (6) التاريخ: السبت 1440/04/15 هـ 2018/12/22 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم،

فمعنا الليلة إن شاء الله تعالى **الحديث السابع** من أحاديث الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله،

وأحب التنبيه إلى أننا سنختصر الشرح قليلاً بناءً على طلب الإخوة فلذلك سأحرص على ذكر الفوائد الرئيسية للأحاديث فقط.

قال النووي رحمه الله: **(عَنْ أَبِيْ رُقَيَّةَ تَمِيْم بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: [الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، ولِرَسُوْلِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ] رواه مسلم)**،

قوله ﷺ: **(الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ)**

هذه الكلمة كلمة جامعة تدل على أهمية النصح في دين الله وأن النصيحة هي عماد الدين وقَوامه،

ومعنى النصيحة: قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً،

وهي في **اللغة مأخوذة من نصحت العسل إذا صفّيته من الشمع**، هذا معناها في اللغة،

- وأما **النصيحة لله** تبارك وتعالى فمعناها أن نؤدي حق الله تعالى علينا سواء كان حقاً واجباً أو مستحباً،

وأعظم حقوق الله تعالى علينا توحيده سبحانه والإقرار بوحدانيته سبحانه، فهو واحد في ربوبيته وواحد في ألوهيته وواحد في أسمائه وصفاته، ومن حقه تعالى علينا أن نعبده ولا نشرك به شيئاً وأن نطيعه سبحانه وتعالى ولا نعصيه وأن نؤمن بكل ما أخبر به من أمور الغيب وغيرها من الأمور التي يجب التصديق بها والإيمان بها.

- وأما **النصيحة لكتاب الله تعالى** فأعظمها أن نؤمن بأن القرآن كلام الله، منزّلٌ غير مخلوق، تكلم به حقيقة وتلقاه جبريل من الله عز وجل ونزل به على نبينا محمد ﷺ،

ومن النصيحة لكتاب الله أيضا حفظه وتدبره وتعلم معانيه والعمل به، وكذلك امتثال ما فيه من أوامر واجتناب ما فيه من نواهي،

ومنها أيضاً أن نذُبّ عنه وأن نبيّن افتراء المفترين عليه وتحريف المحرّفين له،

ومنها أيضاً أن نؤمن بما فيه من أمور الغيب وأنها حق وصدق وغيرها من الأمر التي يدخل في النصيحة

لكتاب الله.

- وأما **النصيحة لرسول الله** ﷺ فأن نؤمن بأنه رسول الله حقاً وأنه الصادق المصدوق وأنه رسول من الله إلى الثقلين؛ الجن والإنس،

وأن نطيعه ﷺ فيما أمر وأن نجتنب ما عنه نهى وزجر وأن نؤمن بكل ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه من أمور الغيب، جميع الأمور الغيبية التي أخبر بها النبي ﷺ يجب الإيمان بها، وكذلك يجب أن نتأسى به ﷺ، نتأسى به ونعمل بما جاء به،

فمن العيب الآن والعار أن يبحث طالب العلم عن الحكم الشرعي لما جاء عن النبي ﷺ ليترك العمل، هل هذا الفعل الذي فعله الرسول ﷺ مستحب أم واجب، لماذا يبحث؟ لا يبحث حتى يتعلم الحكم، لا، يبحث حتى يترك العمل بالمستحب، هذه الظاهرة الآن تفشّت والله المستعان، أصبح الإنسان يبحث عن الحكم الشرعي للأمر حتى ينظر أيمكنه تركه أم لا،

فيما مضى كان الناس يبحثون أو يتعلمون السنة حتى يعملون بها، أما الآن فصار الإنسان يتعلم ويبحث عن الأحكام الشرعية حتى يترك الفعل أو يترك العمل بما جاء عن النبي ﷺ أو جاء عن الله تبارك وتعالى، وهذا في الحقيقة استدراج من الشيطان، لماذا؟ لأن علامة محبة الله تبارك وتعالى هي طاعة واتباع النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾

فالصادق يُعرَف بماذا؟ يعني الذي هو صادق في محبته لله تبارك وتعالى يعرف بتطبيقه للسنة واتباعه للنبي ﷺ، بهذا تعرف الصادق من الكاذب في محبة الله، تنظر إلى مدى اتباعه للنبي ﷺ فإن وجدته يحرص على طاعة النبي ﷺ واتباع سنته والبعد عن ما نهى عنه فاعلم أنه محبّ لله ومحبّ لرسوله، لكن إن وجدته يفعل الواجب فقط ولا يتورع عن المعاصي والمشتبهات ويدع الواجبات أحياناً ويتعبد الله تبارك وتعالى بالبدع فاعلم أنه كاذب في دعواه.

- وأما **النصيحة لأئمة المسلمين** فتكون بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ومناصحتهم وعدم التشويش عليهم والصبر على ما يحصل منهم من أذى وعدم الخروج عليهم وتهييج العامة والغوغاء عليهم وكذلك عدم طاعتهم في معصية الله أو تسويغها لهم بالمسوّغات.
- وأما **النصيحة لعامة المسلمين** فبأن يحب لهم الإنسان ما يحبّه لنفسه من الخير وأن يرشدهم إلى الهدى وإلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم وأن ننهاهم عن الشر وعن المعاصي والآثام وذلك أن نقوم فيهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

لذلك قلنا في الأول بأن كلمة النصيحة هذه كلمة جامعة يدخل فيها جميع وجوه الخير وجميع الحقوق الشرعية تدخل فيها، هذا ما يتعلق بهذا الحديث.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

حديثنا الثاني في هذه الليلة هو

الحديث الثامن،

قال النووي رحمه الله: (عَنِ ابْنِ عُمَرَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ قَالَ: [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ وَيُقِيْمُوْا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهَمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى] رواه البخاري ومسلم)

هذا الحديث فيه أن الله تعالى أمر نبيّه محمداً ﷺ بقتال الكفار سواء كانوا أهل كتاب أو غيرهم، أمره بقتالهم حتى يدخلوا في دين الإسلام ، حتى يدخلوا في الإسلام، لأنه الدين الذي اختاره الله لعباده ورضيه لهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وكذا في قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، فهذا الحديث يبيّن أن الله تعالى أمر نبيه بقتال الكفار حتى يدخلوا في الإسلام،

لكن جاء في قول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ، جاء ما يدل على أن القتال يكون حتى يعطوا الجزية، فنجمع بين هذين النصين وما جاء في الباب من نصوص أخرى بأن نقول أن قتال الكفار مطلوب لإعلاء كلمة الله وحتى يكون دين الله تبارك وتعالى هو السائد،

ومن لم يدخل في الإسلام فإن كان من أهل الكتاب سواء كان يهودياً أو نصرانياً وألحق بهم أهلُ العلم المجوسَ، فأهل العلم متفقون على أن الجزية تقبل منه، أهل الكتاب والمجوس الجزية تقبل منهم مع بقائهم على دينهم، يعني إذا أرادوا أن يسلموا فالواجب عليهم هو الإسلام وإن أرادوا البقاء على دينهم فيُترَكون على دينهم لكن في مقابل هذا يدفعون الجزية،

وأما إن كان هذا الكافر الذي نقاتله من غير أهل الكتاب ومن غير المجوس فقد ذهب طائفة من أهل العلم ومنهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله إلى أن أمرهم يرجع إلى ولي الأمر، فإذا فتح ولي الأمر البلد الذي هم فيه - يعني هؤلاء الكفار - فلولي الأمر أن ينظر في أمرهم فإن رأى أن المصلحة في قبول الجزية منهم وعدم قتالهم كان له ذلك، وإن رأى أن المصلحة في قتالهم حتى يسلموا قاتلهم، وعلى هذا القول أكثر أهل العلم.

وقد تلاحظون إخواني بارك الله فيكم أن لفظ الحديث هو: **[أمرت أن أقاتل الناس]** وليس: أن أقتل الناس، وهذا اللفظ استعملناه في الشرح هنا فقلنا المقاتلة وقلنا القتال ولم نقل القتل لأن بين الكلمتين

فرقاً ومعناهما مختلف؛

- **فالمقاتلة يراد بها جهاد الأعداء حتى تكون كلمة الله هي العليا،**
- **وأما القتل فهو قتل شخص بعينه وليس كل من جازت مقاتلته جاز قتله،**

افهموا هذا الفرق جيداً بارك الله فيكم،

وفي الحديث أيضاً فائدة وهو أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإننا نقبل منه، نقبل هذه الشهادة منه ونتوقف عن قتاله لماذا؟ لأنه أظهر الإسلام، ويطالب بعدها بباقي الشرائع من صلاة وزكاة وغيرها لماذا؟ لأنها من حق الإسلام،

وقد جاء في الحديث أن المسلم دمه وماله معصوم إلا بحق الإسلام، والشخص إذا نطق بالشهادتين فقد دخل في الإسلام، والشهادتان هما أول واجب على المكلف،

وفيها أيضاً أن الكافر حلال الدم والمال، لماذا؟ لأن المقاتلة تتوقف على دخوله في الإسلام، فالكافر بمفهوم الحديث أن الكافر دمه وماله حلال لكن ينبغي أن ننبّه إلى أمر مهم ويجب عليكم حفظه، ليس كل كافر، **نحن نتكلم عن الكافر الحربي**، الذي بيننا وبينه حرب، نتكلم عن هؤلاء عن "الكفار الحربيون " الذين بيننا وبينهم حرب،

أما المستَأمن والمعاهَد والذّمّيّ فهؤلاء لا، هؤلاء دمهم ومالهم حرام علينا،

وقلنا المستأمن والمعاهد والذمي،

- **الذمي**: هو الذي يقيم بين المسلمين ويدفع الجزية لعدم دخوله في الإسلام،
- وأما **المعاهد** فهو الذي يقيم في بلاده لكن بين البلدين معاهدة على عدم الاقتتال والمحاربة،
- وأما **المستأمِن** فهو الذي أمِنّاه في وقت محدد، يدخل لبلد المسلمين للتجارة أو غيرها من الأمور المباحة وأمِنّاه على الدخول، يعني لا يكون بين البلدين عهد لكنه استأمننا على الدخول إلى بلاد المسلمين لأمرٍ مباح.

أما الكفار الحربيون قد يُقتلون وقد يؤسرون وقد تُغنم أموالهم، وبهذا تعلمون أن ما يفعله الخوارج من قتل الذميين وقتل المعاهدين لا علاقة له بالإسلام، النبي ﷺ يقول: [مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ] فقَتلُهَم حرام، وما يفعله الخوارج باطل.

وفي قوله ﷺ: [عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ] فيه أن المسلم حرام الدم والمال وأنه لا يجوز الاعتداء عليه بأي نوع من الاعتداء إلا إذا أخل بحق من حقوق الإسلام كأن يرتد عن دين الله عز وجل أو غيرها، قد جاء - بيّن - هذا في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: [لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لدينه المفارق للجماعة]

فمن قَتل فإنه يُقتَل حداً،
وإن زنى وكان محصناً فإنه يُرجَم حتى الموت،
ومن بدّل دينه وكفر بعد الإسلام فإنه يُقتَل ردّة،
وهذه الأمور ليست لأفراد المسلمين، الحد أو الحدود هذه يقيمها أو يقوم بها ولي الأمر أو من ينوب عنه،
وفي قوله ﷺ: [وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ]
فيه أننا مأمورون بالبلاغ كما أن النبي ﷺ كان مأموراً بالبلاغ،
أما الحساب فهو على الله عز وجل، وفيه أيضاً أننا نقبل من الناس الظاهر والله يتولى السرائر، فمن أظهر الإسلام قبلنا منه،
ولذلك قبل النبي ﷺ من المنافقين الظاهر منهم مع علمه بنفاقهم وأجرى عليهم أحكام المسلمين، فنحن نحكم بالظاهر، من أظهر لنا خيراً حكمنا عليه أنه من أهل الخير ومن أظهر لنا شراً حكمنا عليه أنه من أهل الشر، والله المستعان.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحديث التاسع

نمر إلى الحديث الذي بعده، حديثنا الثالث في هذه الليلة هو (حديث أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر قال:

قال رسول الله ﷺ: [مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ] رواه البخاري ومسلم)

هذا الحديث من قواعد الإسلام المهمة، هذا الحديث يبين أن المأمور به يأتي منه المرء ما استطاعه بخلاف المنهي عنه فإنه يجتنبه، والفرق بينهما بيّن وواضح، وذلك أن فعل الشيء مَنُوطٌ ومعلّق بالاستطاعة على فعله وعلى قدرة الإنسان على ذلك بخلاف المنهي عنه فالمطلوب من الإنسان تركه والترك يستطيعه كل أحد، اللهم إلا أن يكون المرء مضطراً إلى فعل هذا المنهي عنه، يعني كمن أوشك على الموت بسبب عدم وجود الغذاء ففي هذه الحالة إذا كان الإنسان على وشك الموت فإن له أن يأكل ما حرّم الله إذا كان في أكله تمكين له على البقاء على قيد الحياة والحفاظ على حياته، وهذا كله من رحمة الله تبارك وتعالى بنا، فإن الله لم يكلفنا بما لا نطيق، وقد جاء في الآية: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ،

وقال عز وجل أيضاً: ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ ،

ومما يستفاد أيضاً من الحديث أن الإنسان إذا لم يقدر على فعل المأمور كله فإنه يفعل منه ما يستطيع عليه، يعني إذا تمكن الإنسان من القيام في الصلاة لكنه لم يستطع السجود أو الركوع فإنه يجب عليه القيام وفي الركوع والسجود فإنه يجلس أو يفعل الصفة التي يمكنه الركوع والسجود بها.

وكذلك من لم يستطع القيام طوال القراءة فإنه يقوم ما استطاع ثم إذا عجز عن البقاء قائماً فإنه يجلس، فهذا داخل في قوله ﷺ: **[فأتوا منه ما استطعتم]**، ولهذا قلنا أن الحديث هذا من قواعد الإسلام المهمة.

ومما يستفاد أيضاً منه أنه **لا ينبغي** للمسلم فضلاً عن طالب العلم أن يكثر السؤال عن الأمور التي لا تعنيه، خاصة الأمور التي نهينا عن السؤال عنها، ككيفية صفات الله تبارك وتعالى أو عن الأمور التي تتعلق بالغيب، يعني الأمور التي نهينا عن السؤال عنها، فهذه الأمور لا ينبغي السؤال عنها، والنبي ﷺ أخبر في الحديث أن سبب هلاك الأمم السابقة كان كثرة المساءلة واختلافهم على أنبيائهم.

فلا ينبغي للمرء أن يكون فيه شبَه بهؤلاء فإن التشبه بهم يؤدي إلى الهلاك مثلما هلكوا.

فالمرء يسأل عن الأمور التي تهمه وتعنيه في دينه، فمثل هذه الأمور يجب عليه أن يسأل عنها، لا يقول نهينا عن كثرة السؤال، لا، الأمور التي تعنيك والأمور التي تجب عليك فإنه يجب عليك أن تسأل عنها وأن تتعلمها وتتعلم كيفيتها الشرعية وتتعلم الأحكام الخاصة بها.

أما الأمور التي لا تعنيك كما أسلفنا، ككيفية صفات الله تبارك وتعالى هذه نهينا عن السؤال عنها، السؤال عن الأمور التي لا تعني في القدر وفي بعض الأمور الغيبية أيضاً هذه لا ينبغي للإنسان أن يسأل عنها.

وكذلك الاختلاف على أنبيائهم، الإنسان إذا سأل عن الأحكام الشرعية، سأل عن حكم هذه المسألة وهذه المسألة فإنه يسأل حتى يمتثل ولا يسأل حتى يترك ولا يسأل حتى يعصي الله تبارك وتعالى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح وأن يجعلنا هداة مهتدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس السابع من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (7) التاريخ: السبت 1440/04/22 هـ 2018/12/29 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله لا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فمعنا الليلة إن شاء الله تعالى **الدرس السابع** من دروس شرح الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى.

الحديث العاشر

قال رحمه الله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ: [إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبَاً وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِيْنَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ (المؤمنون: الآية51)، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: الآية172) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ] رواه مسلم)

هذا الحديث يبيّن فيه رسول الله ﷺ **أن الله تبارك وتعالى طيب**؛ بمعنى أنه منزّه من العيوب والنقائص، **وهو سبحانه** طيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله - تبارك وتعالى - وأحكامه،

فهو سبحانه منزّه عن العيوب والنقائص في جميع ما ذكرنا، **وهو سبحانه** لا يقبل إلا طيباً، الطيب من الأقوال والأعمال والعقائد. الخبيث لا يقبله،

وشرط كون العمل طيباً أن تتوفر فيه شروط قبول العمل

وقد ذكرناها فيما مضى وهي اثنان:

- **الشرط الأول هو الإخلاص**
- **والشرط الثاني هو المتابعة.**

أن يكون خالصاً لا رياء فيه ولا سمعة، لا يريد به صاحبه غير الله عز وجل،

يعمل العمل لله فقط إذ لو أشرك فيه لحبط ولَرُدّ عليه عمله كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،

وجاء في الحديث القدسي قول الله عز وجل: [أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه] وهذا فيه أن العمل إذا كان فيه شرك فهو غير مقبولٍ ومردودٌ على صاحبه.

الشرط الثاني: أن يكون العمل على وفق الشريعة، وقد مرّ معنا حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: [مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ] أي مردود،

فالبدعة مردودة على صاحبها لا يقبلها الله تبارك وتعالى،

تجد الآن بعض الجَهَلة يعمل البدعة وربما تشق عليه وعلى نفسه ولكنها في النهاية غير مقبولة عند الله لأنها على غير ما جاء به النبي ﷺ،

وقد جاء في الحديث أن ثلاثة نفر كانوا في زمن النبي ﷺ:

فقال أولهم أصوم ولا أفطر،

وقال الثاني أصلي ولا أنام،

وقال الثالث لا أتزوج النساء،

ويريدون بذلك المبالغة في التعبد وكأنهم تقالّوا عبادة النبي ﷺ أي يعني جاءتهم قليلة، كانت تظهر لهم أنها قليلة فأرادوا أن يبالغوا في التعبد وكل واحد بما ظهر له، فلما بلغ أمرهم النبي ﷺ خطب فيهم النبي ﷺ وقال: [مَا بَالُ أَقْوَامٍ يقولون كَذَا وَكَذَا؟ أما أنا فأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأصلي وأنام، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي]،

فالعبرة يا إخوة بأن يكون عملك طيّباً مقبولاً عند الله عز وجل ولو كان قليلاً، لا تهم كثرة العمل إذا كان غير مقبول أو كان هذا العمل لا تتوفر فيه شروط القبول،

العبرة بأن يكون عملك مقبولاً وقد مرّ معنا قول الفضيل في قول الله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، لم يقل ليبلوكم أيكم أكثر عملاً، فالعبرة بحُسن العمل وبكونه طيباً مقبولاً عند الله تبارك وتعالى.

ثم قال ﷺ: (وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِيْنَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾)

هذا فيه دليل على أن الرسل يأمرهم الله تبارك وتعالى ويوحي إليهم، وهم -صلوات الله وسلامه عليهم-

يبلغون الناس الشرع والوحي الذي جاءهم من الله تبارك وتعالى،
فأمرهم الله كما جاء في الحديث بأن يأكلوا من الطيبات،
والطيبات هي التي الأمور التي أحلّها الله تبارك وتعالى لنا واكتُسِبَت بطريقةٍ شرعية،
فما لم يتوفر فيه هذان الشرطان فليس من الأكل الطيب:

- كأن يكون مما حرم الله تبارك وتعالى أكله كالميتة
- أو أن يكون حلالاً لكنه اكتُسب بطريقة غير شرعية كأن يسرق الإنسان طعاماً حلالاً فهذا ليس من الطيبات ولا يحل أكله لأنه اكتُسب بطريقة غير شرعية،

وفيه إشارة أيضاً إلى أن الأكل الحلال سبب في صلاح العمل وعون عليه، يعني كما جاء في تفسير ابن كثير للآية لأنه تبارك وتعالى قال: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ كأن - كما قال ابن كثير في التفسير - أن الأكل الحلال سبب في صلاح العمل وعون عليه، ومن كان أكله حراماً كان هذا سبباً في تثبيطه وتخذيله عن العمل الصالح، لذلك تجد الكثيرين ممن يكون في كسبهم نوع من الحرام وإن لم يكن كله حراماً تجدهم يتثبطون عن فعل الخيرات وعن فعل الصالحات وتجد عملهم يكون مخلوطاً بالرياء الظاهر البيّن للناس والله المستعان.

كذلك مما يستفاد في الآية أن في قوله تعالى: ﴿واعملوا صالحاً﴾ يراد به الشكر، يعني كلوا من الطيبات واشكروا الله تبارك وتعالى على أن وفقكم لهذا الأكل الطيب، فالإنسان مأمور بشكر النعمة لأن الشكر يثبت هذه النعمة وسبب في بقائها، ومن كفر نعم الله تبارك وتعالى كان كفره هذا سبباً في زوال هذه النعمة،
ومِن كفرِ النعم أن تُستَعمل في معصية الله وأن يُعصى الله تبارك وتعالى بعد أن وفّقك للأمور الطيبة، مثل إنسان يوفّقه الله تبارك وتعالى للأكل الحلال والأكل الطيب لكنه لا يستعمل تلك القوة وتلك الصحة التي تنتج عن هذا في طاعة الله فتجده يعصي الله تبارك وتعالى فلم يشكر هذه النعم التي أفاضها عليه الله تبارك وتعالى من طيب المأكل وصحة البدن، والله المستعان.
الآية الثانية فيها أمر من الله تبارك وتعالى بالأكل من الطيبات وهذا الأمر يتضمن النهي عن الأكل الحرام، الأمر بالأكل من الطيبات يتضمن النهي عن أكل الحرام والخبائث،
وفي الآية أيضاً ردّ على من يحرّم أكل الطيبات ويزعمون أن عدم أكلهم الطيبات هو ورع منهم وزهد منهم في الدنيا كما يفعله الصوفية، وهذا باطل لأن الله يقول: ﴿كلوا من الطيبات﴾ ، وكذلك اللباس، جميع الطيبات أحلت لنا سواء كانت في الملبس أو في المأكل كما أن جميع الخبائث والمحرمات حُرّمت علينا، المهم

أن يعمل الإنسان بلا إسراف ولا مَخِيلة، لا يدخل على الإنسان الإسراف أو المخيلة أي الكبر،

ثم ضرب لنا النبي ﷺ مثلاً لما سبق وهو هذا الشخص،

فقال: (ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ)

وذكر من شأنه، وذكر في الأخير أنه لا تستجاب دعوته وذكر السبب على ذلك، فهذا الشخص توفّرت فيه دواعي استجابة الدعاء، وقد ذكرها أي النبي ﷺ، وهي أنه كان في سفر وكان في حالة رثّة، فلم يكن عنده داعي للكبر، وكان رافعاً يديه إلى السماء مادّاً لهما إلى السماء وهذا أيضاً من دواعي استجابة الدعاء،

وذكر أيضاً أنه كان يستغيث بالله تعالى ويتوسل إليه بربوبيته ويقول: (يا رب يا رب)، وهذا أيضاً من دواعي الاستجابة، ومع كل هذا لم يستجب الله له، لماذا؟ لأنه ارتكب مانعاً من موانع الإجابة ألا وهو أن مأكله كان حراماً ومشربه كان حراماً وملبسه كان حراماً

وكما قال النبي ﷺ: (فأنى يستجاب لذلك)

أي يبعد أن يستجاب له، وهذا فيه بيان خطورة التغذي بالحرام وأنه من أسباب ردّ الدعاء ومحق البركة ومن أعظم أسباب دخول النار، والله أعلم.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحديث الحادي عشر

نمر إلى الحديث الحادي عشر،

قال رحمه الله: (عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتَ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: [دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيْبُكَ] رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)

السبط هو ابن البنت كما أن الحفيد هو ابن الابن،

ويقال: يَريبك بفتح الياء ويُريبك بضمها لكن الفتح أفصح وأشهر،

والنووي رحمه الله وصف الحسن رضي الله عنه بأنه ريحانة رسول الله لأن الدليل ثبت بأن النبي ﷺ وصف الحسن والحسين بأنهما ريحانتاه رضي الله عنهما،

- وللفائدة فإن هذا الحديث مما اختُلف في صحته وضعفه،
- والصواب أنه لا يثبت عن النبي ﷺ ولكنه قولٌ أُثِرَ عن بعض الصحابة كعمر رضي الله عنه وابنه عبد الله وكذلك ثبت عن الإمام مالك أنه قاله رحمه الله،

فهذا الأثر من قواعد الإسلام العظيمة،

ومعناه أن المرء يدع ما له فيه شكّ إلى ما لا شك له فيه،

وهو يشبه حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه السابق: [إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات...] الحديث،

فإذا اشتبه عليك أمر أفعله حلال أم حرام فإنك تدعه وتفعل ما أنت متيقن أنه حلال،

هذا معنى هذا الأثر،

وكذلك من معانيه ما جاء في القاعدة أن **اليقين لا يزول بالشك**،

يعني إذا كنت مثلاً متوضئاً ثم مرّ عليك الوقت ثم شككت أوضوءك باقٍ أم انتقض فابنِ على اليقين،

ويقينك لا يزول بالشك،

ما هو اليقين في هذه الحالة؟ **يقينك هو آخر شيء أنت متيقن منه**، وهو أنك على وضوء، فابن عليه وانبذ الشك،

ما هو الشك؟ هو حدوث الناقض للوضوء،

هذا الناقض أنت شاك فيه أحصل أم لم يحصل؟

فهذا الشك تنبذه وتبني على اليقين،

لكن كما مر معنا في حديث النعمان: الريب والشك الذي يحصل للإنسان في العبادات وغيرها لا يدخل فيه الوسواس، الوساوس غير داخلة، لا يلتفت إليها الإنسان، نحن نتكلم عن الريب الحقيقي والشك الحقيقي.

هذا ما يتعلق بهذا الحديث.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحديث الثاني عشر

ثم قال، الحديث الذي بعده، قال رحمه الله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: [مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيْهِ] حديثٌ حسنٌ، رواه الترمذي وغيره)

- هذا الحديث أيضاً اختلف فيه الحفاظ
- والأكثرون على أنه لا يصح وأنه مرسل لا يثبت،

لكن سنشرحه إن شاء الله؛ لأننا اشترطنا في الأول أننا سنشرح كل الأحاديث،

هذا الحديث هو أحد الأحاديث الأربعة التي عدّها الإمام ابن أبي زيد القيرواني-وكان يلقب بمالك الصغير- أحد أصول الأدب، وجماع الأدب والخير يتفرع منها،

ومعنى الحديث أن **مَن حَسُن إسلامه فإنه:**

- **يترك ما لا يعنيه من قول أو فعل**
- **ويفعل ما يعنيه من الأقوال والأفعال،**

والأمور التي لا تعني الإنسان وينبغي عليه تركها هي جميع المحرمات والمكروهات والمشتبهات،

وينبغي عليه فعل الواجبات والمستحبات، كل هذا حتى يحسن إسلام المرء ويكمل ويبلغ إلى درجة المحسنين، أهل الإحسان هم الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأن الواحد منهم يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه،

وهذه المرتبة إذا بلغها المرء فإن ثوابها عظيم جداً وخيرها كبير فإن النبي ﷺ يقول كما جاء في الحديث المتفق على صحته: [إذا أحسن أحدكم إسلامه كان له بكل حسنة يعملها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا عمل السيئة كانت السيئة بمثلها]

فمثل هذا الفضل لا يستهان به، وعلى الكيّس الفطن أن يحرص على بلوغ هذه المرتبة ؛ مرتبة الإحسان، وقد تكلمنا عنها في حديث جبريل بما فيه الكفاية وهنا أيضاً تكلمنا،

كذلك أدخل الشراح في هذا الحديث أن المرء ينبغي عليه أن يترك ما لا يعنيه من الكلام، سواء كان مسموعاً أو منطوقاً، فلا يسمع ما لا يعنيه ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وهذا الأدب لو التزمه الناس اليوم لكانوا في خير كبير، الآن تجد الواحد منا اليوم يتكلم ويسأل المشايخ ويضيّع وقته ووقتهم فيما لا يعنيه، فيما هو في غنىً عنه، تجد الواحد منا اليوم يتكلم في أمور العامة، في أمور السياسة، في أمور تحصل لم يتكلم فيها العلماء وتجد هؤلاء يتكلمون ومنشغلون بها، هذا ليس من حسن إسلامهم، وقد يؤدي هذا المرء

إلى المهالك، وقد شاهدنا الكثيرين ممن انحرف وزاغ بسبب كثرة الكلام فيما لا يعنيه، والله المستعان، فالواجب على طالب العلم إذا سمع أو رأى ما أشكل عليه أن يردّه إلى عالمه ولا يتدخل فيه، احفظ لسانك يا طالب العلم، احفظ لسانك، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾

وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء،

- فما أشكل عليك فردّه إلى عالمه،
- وما لا يعنيك فلا تتدخل فيه،

يعني لا تلتفت إليه لا سماعاً ولا كلاماً، ولهذا نصيحتي لكم يا طلبة العلم بأن تشتغلوا بالعلم، اشتغلوا بالعلم حفظاً ودراسةً وفهماً، فما أُنفِقَت الأوقات في أفضل منه، وفضل طلب العلم عظيم لا يخفاكم، ومِن بركته وفضله على صاحبه وعلى المشتغل به أنه يمنعه من مشاركة الغوغاء في كثرة كلامهم وفي سفههم وسوء ما هم فيه، والعلماء دائماً يوصون طالب العلم بالاشتغال بالعلم وترك ما لا يعنيه، خاصة في زماننا هذا وقد كثرت فيه الفتن وكثر فيه الجهّال وعلماء السوء فلا سبيل إلى النجاة بدون العلم، والله الموفق وهو المعين

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس الثامن من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (8) التاريخ: السبت 1440/04/29 هـ 05/يناير/2019 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فدرسنا الليلة إن شاء الله هو **الدرس الثامن** من دروس شرح الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله،

الحديث الثالث عشر

قال رحمه الله: **(عَنْ أَبِيْ حَمْزَةَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَادِمِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَن النبي ﷺ قَالَ: [لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ] رواه البخاري ومسلم)**

في هذا الحديث ينفي النبي ﷺ كمال الإيمان الواجب عمّن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه،

فدلّ هذا على أن هذه المحبة المطلوبة في الحديث واجبة

لكن في المسألة تفصيل سيأتي إن شاء الله.

فقوله ﷺ: **(لا يؤمن)** نفى فيه كمال الإيمان، ولهذا اللفظ نظائر كثيرة في الشريعة مثل قوله ﷺ: [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين] وقوله ﷺ: [لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه] وغيرها من النصوص،

وهذا النفي قد يكون نفياً للكمال الواجب أو نفياً للكمال المستحب على حسب الحال.

- بالنسبة لهذا الحديث فإن كان الأمر متعلقاً بأمور الدين يعني أن الإنسان يجب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من أمور الدين كان النفي للكمال الواجب، يعني يكون التقدير لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه **من أمور الدين** ما يحب لنفسه.

أمور الدين نقصد بها العقيدة أو القول أو الفعل أياً كان.

فيجب أن يحب أن يكون أخوه على اعتقاد سليم ومنهج سويّ كما يحب هذا لنفسه، ويحب أن يكون أخزه من ذوي القول الحسن والعمل الصالح كما لو كان هو،

وكذلك في المقابل لا يرضى ولا يحب أن يقع أخوه في المنكرات والمحرمات أو أن يرتكب الشرك أو البدعة أو

المعصية، كل هذا واجب عليه ولا يتم كمال إيمانه الواجب إلا به، إلا بأن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه من الخير في أمور الدين،

وبهذا تعلمون عِظَمَ شأن النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه لا يقوم بها إلا مَن أحب الخير لغيره وأراد الخير للمنصوح له ولأخيه المسلم، وذلك:

- إما بمنعه من المخالفات التي هو فيها، إن كان واقعاً في مخالفات أو واقعاً في بدع فينصحه حتى يجتنبها، أو كان واقعاً في معصية فينصحه ويأمره بالمعروف حتى يدع ذلك الذي هو فيه،
- وإما بمنع غيره من الاقتداء به في الشر الذي هو فيه لأنه يحصل له من الإثم بحسب من اتبعه،

يعني إن كان أخوك المسلم من الدعاة إلى البدع والمنكرات والمعاصي فتحذيرك منه فيه خير له، لماذا؟ لأنه لو اتبعه الناس على الشر الذي هو فيه فإنه يكون له من الآثام بحسب من اتبعه فتحذيرك للناس منه في الحقيقة فيه خير له حتى لا يحصد إثمه وإثم من اتبعه على هذا الشر الذي هو فيه، وكل هذا من محبة الخير لأخيك المسلم.

- **الحال الثانية**: هو أن يكون الأمر متعلقاً بالدنيا،

قلنا الحال الأول أن يكون الأمر متعلقاً بأمور الدين،

الحال الثانية أن يكون الأمر متعلقاً بالدنيا فيكون المنفي هو كمال الإيمان المستحب،

فيستحب له - أي للمسلم - أن يحب لأخيه ما له من خير في أمور الدنيا كالمسكن والمركب أو المال أو حسن التدبير وغيرها من أمور الدنيا، وهذا مستحب ليس واجباً كالحال الأولى، يعني يستحب لك أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك من الخير في أمور الدنيا،

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في محبة الخير لبعضهم حتى كان الواحد منهم يؤثر أخاه بما عنده، قد أثنى الله تعالى عليهم بذلك كما في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

فالإيثار في أمور الدنيا من مأكلٍ وملبسٍ ومركبٍ مستحبٌّ، وقد جاء في الآية أنه من صفات المؤمنين،

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار نزل به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه،

فقال لامرأته: نوّمي الصبية وأطفئي السراج وقرّبي للضيف ما عندك،

وقد جاء أن هذه القصة هي سبب نزول الآية السابقة، قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ ﴾ ،

فانظروا إلى هذا الإيثار الذي كان بين الصحابة،

والأمثلة على هذا كثيرة جداً وهي أكثر من أن تُحصَر أو تُذكَر،

وننبه هنا أن الإيثار بالقُرَب والطاعات مكروه، نحن تكلمنا عن الإيثار في أمور الدنيا لكن الإيثار بالقرب والطاعات مكروه ولم نؤمر به، وهو مخالف لما أُمرنا به من المسارعة إلى الخيرات والمسابقة إلى أبواب الطاعات، فالله تعالى يقول: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

وكذلك في قوله: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

- فالإيثار في الواجبات محرم
- وهو في المستحبات مكروه،

هذا هو التفصيل، يعني إذا كانت هذه القربة وهذه الطاعة مستحبة فالإيثار فيها مكروه وإذا كانت واجبة فالإيثار فيها محرم،

ولا بأس أن نضرب مثالاً وكما قيل بالمثال يتضح المقال،

هذا المثال ربما يقع للكثيرين وهو أن يكون ثمة فرجة في الصف المتقدِّم وتكون أنت وبجانبك أحد ربما يقول الواحد للآخر: تقدم أنت!

والآخر يقول لك: تقدم أنت

فهنا الصواب أنك إذا وجدت فرجة في الصف الذي قبلك أن تتقدم إليها ولا تؤثر غيرك بها لأن الصفوف دائماً يعني الصف الأول أفضل من الذي يليه وهكذا....،

فالإيثار هنا في هذه الحال مكروه لأنه ينافي المسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها،

هذا مجمل ما يتعلق بهذا الحديث.

الحديث الرابع عشر

ثم قال رحمه الله: (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: [لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ بإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِيْ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِيْنِهِ المُفَارِقُ للجمَاعَةِ] رواه البخاري ومسلم)،

هذا الحديث سبق وأن تكلمنا عليه عند شرحنا للحديث الثامن وقلنا أن فيه بيان حرمة دم المسلم وأن المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وأن دم المسلم لا يحل إلا بإحدى هذه الثلاث المذكورة في الحديث،

لكن الصحيح أنه قد ثبت جواز قتل المسلم بغير هذه الثلاث كقتل الساحر وقتل تارك الصلاة وقتل آخر الخليفتين المبايع لهما وغير هؤلاء، وليس هذا محل بسط هذه الأمور.

الأمر الثاني الذي نريد ذكره: ما المراد بالثيب الزاني؟

1- **الثيب: هو المحصن،**

والمحصن-احفظوا هذا التعريف بارك الله فيكم-، **المُحصَن: هو الحر البالغ العاقل الذي وطئ في نكاحٍ صحيحٍ،**

وطئ يعني جامع امرأته في قُبُلها، ويكون هذا في نكاح صحيح،

وحكم المحصَن الزاني الرجم حتى الموت، حكمه أن يُرجَم حتى الموت،

ويثبت الزنا إما بإقراره أو بشهادة أربعة عدول، هذا ما يثبت به الزنا،

والمحصن - بارك الله فيكم - إذا أُحصِن الإنسان ولو طلق زوجته فيما بعد فإنه يبقى محصناً فإنه لو زنا بعد تطليقه لزوجته ويكون في ذلك الحين غير متزوج فإنه يُحَدُّ بما ذكرنا من الرجم حتى الموت،

2- **ثانياً: النفس بالنفس،**

يعني القتل قِصاصاً، أن تُقتَل النفس بالنفس يعني أن تقتل قصاصاً،

فإذا قتل شخصٌ آخر وتمّت شروط القصاص فإنه يُقتل به كما جاء في الحديث وكما جاء في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ ،

بقي معنا **التارك لدينه المفارق للجماعة: وهو المرتد،**

3- **المسلم إذا ارتدّ عن دينه** كما جاء في الحديث: [من بدل دينه فاقتلوه] وكما جاء في حديثنا هذا **فإنه حلال الدم،**

ونبهنا سابقاً ونعيد التنبيه إلى أن الحدود يقيمها ولي الأمر أو من ينوب عنه،

لا يقيمها أفراد الناس، الحدود - خاصةً إذا تعلق الأمر بالقتل - يقيمها ولي الأمر أو من ينوب عنه وليست

هي لأفراد الناس أو للجماعات أو غير ذلك،
هذا تنبيه مهم وخالف فيه أصحاب الجماعات المعاصرة،
عندما نقول الجماعات المعاصرة يعني الجماعات هذه البدعية المعاصرة كالإخوان وغيرها، خالفوا في هذا وكانوا هم يقيمون الحدود على بعض الناس وليس هذا محل الكلام عن هذا.
لكن في شرعنا والصحيح في ديننا أن الحدود يقيمها ولي الأمر أو من ينوب عنه كما حصل في قصة ماعز في عهد النبي ﷺ،
هذا ما يتعلق بهذا الحديث.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحديث الخامس عشر

ثم قال رحمه الله: (عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: [مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرَاً أَولِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ] رواه البخاري)
هذا الحديث يدل على أن من صفات المؤمن الذي يخاف الله ويتّقيه ويريد أن يكون مع الناجين يوم القيامة أن عليه أن يتصف بهذه الأمور الثلاثة المذكورة في الحديث،

- **أولها هو حفظ اللسان من الكلام إلا في خير،**

قال الشافعي رحمه الله: [معنى الحديث: إذا أراد أن يتكلم فليفكر فإذا ظهر أن لا ضرر عليه تكلم وإن ظهر أن فيه ضرراً أو شكّ فيه أمسك] انتهى كلام الشافعي رحمه الله،
وقد جاءت نصوص الشرع متضافرة في بيان وجوب حفظ اللسان وأن المرء محاسب على ما يقول ويفعل
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾
وقوله: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾
وكذلك حديث النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: [إنَّ العبد لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سخطِ اللَّهِ، لاَ

يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ].

فافهم هذا يا طالب العلم ولا تتكلم إلا فيما فيه خير ولا تستعجل الكلام، كما قيل: الكلمة إذا خرجت منك مَلَكَتْكَ وإن أمسكتها مَلَكْتَهَا.

وكان السلف رحمهم الله يمدحون الصمت عن الشر وعما لا يعني لكثرة وقوع الناس فيه ولأن الالتزام بالصمت شديد على النفس، وقد روي عن حميد بن عجلان أنه قال: [يا ابن آدم، إنك ما سكتَّ فأنت سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك فإما لك وإما عليك] انتهى كلامه رحمه الله.

واليوم أكثر ما نعاني منه كثرة الكلام، فالعامة تتكلم فيما لا يعنيهم وفيما لا خير فيه.

وصفحات مواقع التواصل خير دليل على هذا.

وكذلك بعض من انتسب إلى الاستقامة تجدهم يخوضون فيما لا يعني وفيما لا خير فيه، إما الطعن في العلماء أو الغمز فيهم وإما أنهم لا يشتغلون بالعلم ويشتغلون بغيره من سفاسف الأمور.

أما من وفقه الله للخير فهذا يستفيد من العلماء ويشتغل بالعلم تعلُّماً وتعليماً ويجعل من هذه الوسائل وسائل لنشر العلم ولتبسيطه للناس وإفهامهم وتعليمهم أمور دينهم وتجده عاملا بعلمه، فهذا من توفيق الله تبارك وتعالى، وعلينا أن نعمل بهذا، أن يكون شغلنا الشاغل نشر العلم وتعليمه للناس فكم من إنسان ربما يجد الفائدة منشورة في هذه المواقع فيأخذها ويعمل بها وتكون سبباً لهدايته بخلاف من ينشر الشر والفساد والطعونات في أهل العلم الأبرياء وينفر الناس عنهم وهؤلاء في الحقيقة قطاع طرق، وهؤلاء أُتُوا من قِبل جهلهم وسوء قصدهم وسوء طويّتهم وعدم توفيق الله تبارك وتعالى لهم.

فالإنسان لا بد أن يتذكر أنه موقوف بين يدي الله عز وجل وأن الله تبارك وتعالى سائله عن أقواله وأفعاله فليعد لذلك اليوم جواباً ولتعد لهذا اليوم جواباً من الآن.

فكّر فيما ستجيب به الله تبارك وتعالى إذا قال لك: لِمَ طعنت في فلان؟

أو لم زكيت فلاناً من المنحرفين؟

أو لمَ لمْ تعمل بما علمتك إياه من الخير ومن السنة؟

كل هذا ينبغي للإنسان أن يقف عنده.

- **الأمر الثاني** من الأمور الثلاثة التي على الإنسان الحرص عليها إن أراد النجاة يوم القيامة هو **إكرام الجار وهذا يكون ببذل المعروف له وكف الأذى عنه.**

قد جاء في الحديث قول النبي ﷺ: [ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه]، وجاء عند مسلم أيضاً قوله ﷺ: [لا يدخل الجنة من لا يأمن جارُه بوائقَه] أي غشمه وظلمه، في الحديث وعيد شديد لمن يؤذي جاره ويسيء إليه وإنا لنأسف مما نراه اليوم من عدم التكاتف والتآزر والتعاون بين الجيران، ناهيك

عن الإذاية التي تحصل بينهم،

فاتقوا الله عباد الله، ولتكن هذه النصوص رادعة وكافية في بيان وجوب الإحسان إلى الجار وعدم إيذائه.

- **الأمر الثالث** الذي تناوله الحديث: **هو إكرام الضيف،**

والمراد بالإكرام: الإحسان إليه وحُسنُ ضيافته،

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وما أنفق عليه بعد ذلك صدقة، وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يثوي عِنْدَه حَتَّى يُؤْثِمَهُ] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: [يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ]،

ومعنى يثوي عنده: أي يطيل الإقامة عنده، ومعنى يقريه به: أي يكرمه به،

قال ابن القيم رحمه الله: [إِنَّ لِلضَّيْفِ حَقًّا عَلَى مَنْ نَزَلَ بِهِ، وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: حَقٌّ وَاجِبٌ، وَتَمَامٌ مُسْتَحَبٌّ، وَصَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ. فَالْحَقُّ الْوَاجِبُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ] ثم ذكر حديث أبي شريح الذي ذكرناه الآن،

هنا ننبه إلى نكت ومسائل حول هذا الموضوع:

أولاً: الضيف الذي يجب إكرامه هو المسافر لا المقيم، المقيم لا يجب إكرامه لكن المسافر يجب إكرامه،

وكذلك هذا الوجوب المذكور هنا هذا في حق أهل القرى لا أهل المدينة، في المدينة يوجد مطاعم وفنادق وأشياء يستغني بها الإنسان عن الضيافة بخلاف القرى الصغيرة فليس فيها أين يؤوي هذا الضيف المسافر،

لكن إذا نزل عندك ضيف وأنت في المدينة طبعاً فالصحيح أنه يجب في حقك ضيافته وإكرامه، والله أعلم،

هذا ما يتعلق بحديثنا وبالأحاديث؛ أحاديث اليوم،

وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل ونسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما نقول وبما تسمعون والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس التاسع من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (9) التاريخ: السبت 1440/05/06 هـ 12/يناير/2019 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فدرسنا الليلة إن شاء الله تعالى هو **الدرس التاسع** من دروس شرح الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله،

الحديث السادس عشر

قال النووي رحمه الله: **(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوصِنِيْ، قَالَ: [لاَ تَغْضَبْ]، فردد مراراً قال: [لا تغضب] رواه البخاري)**،

هذا الحديث من الوصايا الجامعة العظيمة التي أوصى بها النبي ﷺ أمته، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يسألون النبي ﷺ الوصية، وكان يوصيهم في كل مرة بما يناسب المقام والحال، وهنا أوصى النبي ﷺ هذا الرجل بقوله: **[لا تغضب]**،

وقوله: **[لا تغضب]** يحتمل أمرين:

- الأول: أن لا يسعى المرء فيما يغضبه ويتخذ أسباب عدم الغضب،

هذا الأمر الأول، أن لا يسعى الإنسان فيما يُغضبه ويبتعد عن الأسباب التي تغضبه، والمرء إذا علم أن شيئاً ما يغضبه لا يفعله ولا يمر بالأسباب التي تقربه من هذا الشيء المُغضِب، كذلك الإنسان عليه أن يتمرّن على الحلم والصبر وعلى توطين النفس على ما يصيبها من الجزع ومن الأمور المغضبة.

- الأمر الثاني الذي يحتمله قوله: **[لا تغضب]** هو عدم إنفاذ الغضب، وذلك بكظمه،

إذا أحس الإنسان من نفسه أنه غضب فليكظم غيظه وليكظم هذا الغضب ولا ينفذه، وقد مدح الله تبارك وتعالى الكاظمين الغيظ في كتابه وعدّ كظم الغيظ من صفات المؤمنين المحسنين،

وفي كظم الغيظ فوائد أخرى منها أن الإنسان يمنع نفسه من الأقوال والأفعال المحرمة، فكم من إنسان غضب وجره غضبه هذا إلى القتل والعياذ بالله، أو إلى سب الرب والكفر بالله تبارك وتعالى والعياذ بالله، أو إلى السباب والخصومة والمشاجرة وفعل الكثير من الأمور المحرمة، فكم من حرمات انتُهكت وكم من امرأة طُلّقت بسبب الغضب على الأمور اليسيرة البسيطة، فإذا لم يُنفذ الإنسان غضبه وامتنع من ذلك حصل له خير كثير وقد قال النبي ﷺ: [ليس الشديد بالصُّرَعَة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب]

فالشديد هو الذي يملك نفسه ويضبطها ويكون حازماً مع نفسه، لا يدع نفسه تفعل ما تهوى، هذا هو الشديد وهذا هو الذي امتدحه النبي ﷺ، أما ذاك الذي إذا غضب شاجر وقهر عدوه فهذا ليس شديداً لأنه استمع إلى غضبه وأنفذ غضبه، هذا ما يتعلق بهذا الحديث.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحديث السابع عشر

ثم قال النووي رحمه الله: (عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: [إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ] رواه مسلم).

قوله ﷺ: [إن الله كتب الإحسان] كتب بمعنى شرع وأوجب تأتي بالمعنيين،

والإحسان مر معنا في حديث جبريل - الحديث الثاني - أن الإحسان ثلاثة أقسام:

1- إحسان بين العبد ونفسه
2- وإحسان بين العبد والخلق
3- وإحسان بين العبد وربه،

وقلنا أن الإحسان بين العبد وربه يكون بالإخلاص في عبادته سبحانه لا شريك له والقيام بما أوجب وأن ننتهي عما نهانا سبحانه وتعالى عنه،

وقلنا بأنه مرتبتان:

- المرتبة الأولى أن يعبد العبد الله كأنه يراه،
- والمرتبة الثانية هي أن يعبده مستشعراً بأن الله تبارك وتعالى يراه ويراقبه كما جاء في حديث جبريل: [أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ]،

والإحسان إلى الخلق ذكرنا تعريف الحسن رحمه الله ورضي عنه وقلنا أن **تعريف الإحسان إلى الخلق** هو: **بذل الندى** -أي بذل المعروف-، **وكف الأذى وطلاقة الوجه**.

هذا معنى الإحسان إلى الخلق، يعني تحسن إليهم تبذل المعروف إليهم، تعاون المحتاج، تساعد الفقير، وإذا رأيت إنساناً يحتاج أن تحمل معه متاعه حملته وإذا رأيت شخصاً تطلق وجهك معه يعني يكون وجهك منشرحاً طلقاً، وأن تكف أذاك عنهم، يعني إن كنت تعلم من نفسك أنك ستؤذي إنساناً فلا تؤذه فهذا من

الإحسان، وإن علمت من نفسك أن لديك عادات تؤذي بها الناس فلا تفعلها، كثير من الناس قد يؤذي الناس بأمور، قد يتصل عليك شخص في أوقات متأخرة من الليل على الهاتف وقد يعلم أن هذا يؤذيك ولكنه يتصل فإن أمكنه أن لا يتصل لمعرفته أن هذا الأمر مؤذي مثلاً فلا يفعله،

وكذلك إنسان ربما يؤذيك بكلمة ويعلم أن هذه الكلمة تؤذيك فالأولى أن لا يقولها لك،

ومنهم من قد يؤذي جاره، منهم من قد يؤذي والديه، منهم من يؤذي إخوته،

والواجب على الإنسان ومن الإحسان أن لا يؤذي الإنسان الخلق وأن يكف شره عنهم، والإحسان إلى النفس يكون بأن يحملها على الطاعة ويكفّها عن المعصية، لا يدع نفسه تفعل ما تشاء، لا، بل يحمل نفسه على طاعة الله تبارك وتعالى، إذا علم الطاعة فَعَلَها ما استطاع، وإذا علم أن هذا الأمر معصية اجتنبه وتركه،

وكذلك يعوّد نفسه على الأخلاق الحميدة وعلى الحلم وعلى الصبر وعلى التحلي بالخصال كالجود والكرم وغير ذلك من الأمور التي قد تشق على النفس في بادئ الأمر لكن إذا روّض الإنسان نفسه وعوّدها على هذه الأمور فإنه سيُوَفَّقُ لها بإذن الله تبارك وتعالى،

والإحسان هذا الذي أُمِرنا به في هذا الحديث نوعان: أحدهما واجب والآخر مستحب،

- أما الواجب فهو القيام بالحقوق الواجبة على حسب ما توجبه هذه الحقوق،

أن يقوم الإنسان بالحقوق الواجبة على حسب ما توجبه هذه الحقوق، فمثلاً: الصلاة واجبة علينا، فالإحسان فيها واجب، وما هو الإحسان الواجب في الصلاة؟ ما دام أن الصلاة واجبة ففيها إحسان واجب، ما هو الإحسان الواجب في الصلاة؟ هو أن يأتي بها العبد بشروطها وأركانها حتى تكون صحيحة مقبولة عند الله تبارك وتعالى، بر الوالدين واجب فيجب على العبد الإحسان في هذا البر فيطيعهما في المعروف ولا يعصيهما ولا يسيء إليهما وكما جاء في الآية لا يقول لهما حتى أف، وهكذا.... ، فكل ما يجب عليك شرعاً فالإحسان فيه واجب بحسبه،

- أما الإحسان المستحب فهو ما زاد على الأول مما فيه بذل النفع،

وهذا البذل قد يكون مالياً أو بدنياً أو من الإحسان المستحب أن يوجِّه الناس ويرشدهم إلى ما هو خير لهم سواء كان في أمور دينهم أو دنياهم،

ومنه أن يدخل السرور على الناس، إدخال السرور على قلب المؤمن فيه أجر، فالإحسان قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً، العبادات يجتمع فيها الإحسان الواجب والمستحب، فالإحسان المستحب فيها إكمالها على وجه زائد عن مجرد الإتيان بشروطها وأركانها وواجباتها،

والإحسان الواجب هو أن تأتي بشروطها وأركانها وواجباتها حتى تكون صحيحة مقبولة عند الله تبارك

وتعالى،

حتى يتضح لكم هذا الكلام نضرب مثالاً بالصلاة،

فالإتيان بشروط الصلاة وأركانها هذا إحسان واجب، ل

ماذا؟ لأنه لو لم يؤت بشروطها وأركانها فلا تكون صحيحة ولا مقبولة عند الله،

فهذا القدر من الإحسان واجب، وأما القدر المستحب فهو الإتيان بالمستحبات، مستحبات الصلاة إذا أتيت بها فهذا من الإحسان المستحب،

ثمّ ضرب النبي ﷺ مثالاً وقال: [فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ] والذِّبحة بكسر الذال هي هيئة الذبح وحالته، وأُمرنا بالإحسان فيها، والإنسان يحسن الذبحة بأن تكون سكينه محدّة وأن يكون ذبحه وفق الطريقة الشرعية وبأن يكون هو أيضاً متمرّن على الذبح، فإذا كانت السكين أو الشفرة غير حادة فسيعذّب هذه الذبيحة قبل أن يذبحها، وكذلك إذا لم يكن من الناس الذين يحسنون الذبح قد يسيء إلى هذه الذبيحة وقد يشرع في الذبح ثم لا تحتمل نفسه ما يراه من الدم وغير ذلك فيترك هذا فيأتي آخر حتى يكمل، أو هو قد يبدأ يذبح في مكان ثم يقول لا... إلى غير ذلك، فيحصل بذلك إذاية لهذه الذبيحة وهذا ليس من الإحسان، فالواجب على الإنسان أن يتعلم هذه الأمور وأن يتخذ كل الأمور التي تؤدي به إلى إحسان الذبح،

وكذلك في القتل أُمرنا بإحسان القتل، فإذا كان الإنسان سيطبق حداً كحد القصاص مثلاً على شخص ما فإن السيف هذا الذي يقام به الحد يجب أن يكون جيداً حتى لا يعذَّب هذا الإنسان قبل إقامة الحد عليه،

وكذلك في جهاد الكفّار نُهينا عن التمثيل بهم وعن التنكيل بهم، فإذا قَتَل الإنسان فيُحسن القتل، هذا ما يتعلق بهذه الأمثلة والإنسان يرى أن النبي ﷺ أمرنا بالإحسان في كل شيء، حتى في طلب العلم الإنسان يحسن فإذا شرع في متن فالأكمل له والأحسن له أن يكمل هذا المتن ولا يكون كالذين يتنقلون من فن إلى فن ومن متن إلى متن بدون أن يكملون، يعني يتذوقون كالذي يتذوق الطعام، فمن الإحسان في طلب العلم أن الإنسان يحسن اختيار ما سيدرسه وإذا شرع في دراسته فإنه لا يتوقف لسبب من الأسباب، يعني يحاول أن يكمل ما شرع فيه وهذا من الإحسان منه، وهذا أيضاً أحسن له لأن من أكثر التنقل ضاع منه بلا..... والله أعلم.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الحديث الثامن عشر

ثم قال النووي رحمه الله: (عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: [اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ] رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي بعض النسخ: حديث حسنٌ صحيح).

هذا الحديث حديثٌ عظيمٌ بيّن فيه النبي ﷺ ما يتعلق بحقوق الله وحقوق الخلق فأمر فيه النبي ﷺ بالتقوى؛ تقوى الله حيثما حل العبد وارتحل، في الخلوات ومع الناس، في السراء والضراء، في كل وقت وحين، والوصية بالتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فهي وصية مهمة وهي وصية الله للأولين والآخرين،

وجاءت آيات أخرى كثيرة فيها الأمر بالتقوى وما هذا إلا لعظمها ولأنها جماع الأمر،

والتقوى معناها: اتخاذ وقاية من عذاب الله، معنى التقوى أن يتخذ الإنسان بينه وبين عذاب الله وقاية وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، من فعل ما أُمر به واجتنب ما نهي عنه فقد اتقى الله تبارك وتعالى وجعل بينه وبين عذابه وقاية، ولكن لمّا كان الإنسان بشراً يصيب ويخطئ وتقع منه الزلّات ويقع منه الخطأ أرشد النبيُّ ﷺ إلى ما يجبر به المرء ذلك وإلى ما يمحو به المرء خطاياه، فقال ﷺ: **[وأتبع السيئة الحسنة تمحها]** أي إذا فعلت سيئة فأتبعها بالحسنة أي اعمل بعدها حسنة حتى تمحو هذه الحسنة تلك السيئة كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾، وجاء في صحيح البخاري أن سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من الصحابة نال من امرأة قبلةً فأتى النبيَّ ﷺ وأخبره بالخبر مستعظماً ما فعل، يعني يسأله عن الكفارة، فنزل قول الله تعالى هذا ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ فقال له عليه الصلاة والسلام: [هل صليت معنا؟] يعني في ذلك المسجد صلاة الفجر، قال: نعم، قال: [فهي كفارة ما أتيت]،

ولكن ننبه إلى أنه ليس كل سيئة تمحوها أي حسنة، السيئات العِظام لا بد لها من حسنات عظام حتى تمحوها،

وتنبيه آخر ثانٍ وهو أن الكبائر لا بد لها من توبة حتى تُمحى، الكبائر لا تكفّرها الفرائض ولا يكفرها فعل المستحبات ولا الفرائض، الكبائر لا بد لها من توبة حتى تُمحى، ولأن الله تبارك وتعالى أمر بالتوبة وجعل

من لم يتب ظالماً،
ومن الأدلة على أن الكبائر لا تكفرها الأعمال الصالحة إلا التوبة قوله ﷺ: [الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لَمَا بَيْنَهُنَّ ما اجْتُنِبَت الْكَبَائِر]
فالكبائر لا بد لها من توبة ومن هنا يعلم الإنسان عِظَم الكبائر وخطرها، الإنسان قد يفعل الصغائر وتكفّرها هذه الأمور، وتكفرها الصلوات الخمس وتكفرها الأعمال الحسنة.... إلى غير ذلك، لكن الكبائر فلا بد لها من توبة،
فالمشكل أن الإنسان قد يعمل الكبيرة ولا يتوب منها، هذا مشكل، الإنسان يجب أن يعوّد نفسه على الاستقامة وعلى التوبة من الأمور التي يعملها،
وكذلك المشكل الثاني أن الإنسان قد لا يعلم أن ما وقع فيه كبيرة من كبائر الذنوب فإذا لم يكن يعلم أنه وقع في كبيرة فهذا مشكل لأنه لا يمكن أن يتوب من شيء لا يعلم أنه كبيرة،
وكيف يعلم الإنسان أن ما يقع فيه كبيرة أو ليس بكبيرة؟ يتعلمه بطلب العلم، فنرجع ثم نرجع إلى أن طلب العلم مهم جداً في حياة المسلم، ليس فقط لطالب العلم أو للسلفي فقط، لكل مسلم، لأن هذه الأمور النبي ﷺ خاطب بها عموم من كان معه، لم يخاطب فقط علماء الصحابة أو غيرهم، خاطب بها عموم المسلمين وعموم المكلّفين، فالإنسان لا بد أن يطلب العلم ويتعلم الأمور حتى يعلم أن ما يقع فيه كبيرة أو شرك أو معصية أو أن هذا لا بد له من توبة حتى يغفره الله تبارك وتعالى أو هذا يكفَّر فقط بالأعمال الصالحة... إلى غير ذلك، فهذه الأمور مهمة جداً للمسلم،
ثم ختم النبي ﷺ كلامه بقوله: [وخالق الناس بخلق حسن]
أي عامل الناس بالأخلاق الحسنة الحميدة، فتكفّ عنك أذاهم وتحسن إليهم بالفعل والقول كما مرّ معنا في الحديث السابق وتصبر على المسيء منهم وأن تطلق وجهك معهم ولا تعبِس وإن كان المقام مقام ممازحة تُمازح،
بعض الناس يظن أنه إذا أصبح طالب علم أو إذا أصبح سلفياً أو إذا أصبح ما أدري أيش، يعني جلس عند عالم أو استمع إلى شريط يظن أن المزاح محرم عليه، وهذا غلط، لو تجلس مع العلماء؛ تجلس مع المشايخ تجد أنهم يمازحون، النبي ﷺ كان يمازح أصحابه فالمزاح له أوقاته وله أحيانه وله مقاماته، ليس كل وقت مزاح وليس أن الإنسان لا يمازح أبداً، هذا هو،
ونسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا للعمل بما يرضيه وللعمل بما درسناه وبما أوصى به النبي ﷺ وبما نحن نتعلمه، فهذه الأمور كلها خير، وهذه الأمور لا بد لها من عمل، العلم وحده لا يكفي، حفظ الحديث وحده لا يكفي، قراءة شرح الحديث لا يكفي،

المطلوب هو كل هذه الأمور زيادةً عليها العمل، العمل يا عباد الله، الإنسان إذا كان طبعه يخالف هذه الأمور فعليه أن يتطبع بالأخلاق النبوية وبالوصايا النبوية، يتطبع بالإحسان إلى الخلق، يتطبع بإكرام الضيف، يتطبع بإكرام الجار، يتطبع بطلاقة الوجه مع الناس، يتطبع بكف الأذى عن الناس، إذا لم تكن فيك هذه الخصال فالواجب عليك هو أن تتطبع بها وأن تتعلّمها، كما قال النبي ﷺ: [إنما العلم بالتعلّم وإنما الحلم بالتحلّم]،

فالإنسان ليس عيباً إذا لم يكن مجبولاً على هذه الأمور لكن العيب في أنه يتعلم ويقرأ السنة ويحفظ السنة لكنه لا يعمل بها ثم ماذا يفعل؟ يعطي انطباعاً سيئاً جداً على المستقيمين،

تجد بعض الناس يقول لك: فلان مستقيم ما شاء الله يحافظ على الصلاة لكنه لا يلقي السلام على الناس فلان لا يحسن إلى جاره، يسيء إلى جاره، جاره كان محتاجاً إليه ورفض أن يعينه، فلان يعني كذا، هذه الأمور خوارم، خوارم والله،

ربما تجد بعض الناس ينفر من إخوانه الذين يطلبون معه العلم وممن يعلمهم على الجادة لأتفه الأسباب، فكل هذه الأمور ندرسها وترون أن العلماء الذين ألّفوا في حديث رسول الله انتقوا هذه الأحاديث من بين أحاديث كثيرة جداً وما ذلك إلا لعظمها ولأنها من أعمال الخير التي هي سبب في تكفير الذنوب وتكفير الخطايا ودعوة الناس إلى الحق بالتي هي أحسن،

فهذا كل ما لدينا اليوم، والله أعلم،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس العاشر من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (10) التاريخ: السبت 1440/05/13 هـ 19/يناير/2019 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فمعنا الليلة إن شاء الله تعالى **الدرس العاشر**، من دروس شرح الأربعين النووية، للحافظ أبي ذكريا يحيي أبي شرف النووي –رحمه الله-.

الحديث التاسع عشر

قال –رحمه الله-:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

راوي الحديث هو عبد الله بن عباسٍ –رضي الله عنه-، وكان من أذكى الصحابة، وأشدهم حرصًا على العلم، قد جاء في الحديث أن النبي –ﷺ- دعى له، فقال: «اللَّهُمّ فَقِّهْهُ فِي الدِّين وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».

وكان يلقب بحبر هذه الأمة، وكان –رضي الله عنه- صغيرًا دون البلوغ، لذلك قال له النبي –ﷺ-: **«يَا غُلَامُ»**، وفي هذا تلطفٌ من النبي –ﷺ- معه في تعليمه، وتوددٌ منه إليه حتى يعلمه، وحتى يستفيد.

ويستفاد من هذا أيضًا الحرص على تعليم الصغار، الصغار يعلمون صغار العلم والكلمات النافعة كهاته، فإنها تكون سهلةً عليهم، ولا يصعب علهم حفظها وفهم معانيها.

قوله -ﷺ-: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ»، حفظ الله تبارك وتعالى يكون بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره سبحانه وتعالى، أن يكون العبد مطيعًا لله تبارك وتعالى، فإذا كنت كذلك، فإن الله تبارك وتعالى سيحفظك، يحفظ لك دينك ودنياك، يحفظ لك عقلك، وبدنك، وأهلك، ومالك، كل هذا يحفظه الله تبارك وتعالى لك إن أنت حفظته.

قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[الرعد:11] قال ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-: "هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه".

ومن حِفظ الله تبارك وتعالى للعبد الصالح، أنه حتى بعد موته يُصلح الله ذريته، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[الكهف:82]؛ أي أنهما حُفظا بصلاح أبيهما.

وأما حِفظُ الدين: فقلنا إن الله تبارك وتعالى، يحفظ لك دنياك، ويحفظ لك دينك، وحِفظ الدين يعني هو أشرف وأهم من حفظ الدنيا، أن يحفظ الله لك دينك وإيمانك، فيبعدك عن الشبهات والشهوات المحرمة، وإن قُدّر وعصيت، فإنه يوفقك للتوبة والاستغفار بعد المعصية.

ولا شك أن هذا من توفيق الله تبارك وتعالى للعبد، ويكون هذا للعبد المطيع إلى الله تبارك وتعالى، بأن يوفقه الله للتوبة والاستغفار، الكثيرون يعصون الله تبارك وتعالى، لكنهم لا يتوبون إلى الله تبارك وتعالى، بل يستمرون في غيهم، وحتى إن تركوا هذه المعصية التي هم فيها لا يتوبون منها، فقد يتركونها لأسبابٍ دنيوية.

فهذا هو جزاء من يحفظ الله تبارك وتعالى، من يكون مطيعًا لله تبارك وتعالى، من يمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه، أن يحول الله تبارك وتعالى بينه وبين من يُفسد عليه دينه، يعني شعر بذلك أم لم يشعر، حتى أحيانًا قد يجد الإنسان نفسه كارهًا لترك المعصية، لكن الله تبارك وتعالى لا يوفقه لتركها، وقد يترك الإنسان بعض المعاصي وهو كاره، لكن هذا من توفيق الله تبارك وتعالى، كما حصَّل في قصة يوسف -عليه السلام-، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾[يوسف:24].

يعني أحيانًا تجد الواحد منا ممكن في جماعة، وتجد ربما أحدهم يريد أن يغتاب آخرا، فتجد من يأمره بالمعروف وينهاه عن هذه المعصية، فربما يترك هو هذه الكبيرة التي هي الغيبة يتركها وهو كاره، لكن هذا من توفيق الله تبارك وتعالى له، بأن سخر له من ينهاه عن هذه الكبيرة، "هذا مثالٌ فقط".

ثم قال النبي -ﷺ-: «احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»، معناه من حَفظ الله، وكان مطيعًا لله، ممتثلًا أوامره، منتهيًا عن نواهيه، فإنه سيجد الله معه في كل أحيانه، وفي كل أحواله، وحيث توجه، يحفظه الله تبارك وتعالى وينصره، ويوفقه، ويسدد قوله وفعله.

يعني وفي هذا المعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:128]

قال قتادة –رحمه الله-، قال: «مَنْ يَتَّقِ اللَّهِ يَكُنْ مَعَهُ، وَمَنْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ فَمَعَهُ الْفِئَةُ الَّتِي لا تُغْلَبُ، وَالْحَارِسُ الَّذِي لا يَنَامُ، وَالْهَادِي الَّذِي لا يَضِلُّ»، فعلى الإنسان يحرص على هذا الخير العظيم، حتى يفوز بالنجاح في الدارين.

ثم قال –ﷺ-: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»؛ في هذه الجملة إن الحديث نظيرتها في كلام الله تبارك وتعالى، قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]

تضمن هذا الكلام: أن يسأل الله تبارك وتعالى ولا يسأل غيره، وكذلك أن يستعان بالله تبارك وتعالى، ولا يُستعان بغيره سبحانه، أن الإنسان إذا سأل يسأل الله، وإذا استعان فأستعن بالله، ولا يسأل ولا يستعين إلا بالله تبارك وتعالى.

لكن يعني مسألة فيها تفصيلٌ معروفٌ إن شاء الله عندكم، وقد بيَّنه أهل العلم في غير كتابٍ من الكتب، وهو أن السؤال والاستعانة إن كانت في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فصرفها لغير الله شركٌ أكبر مخرج من الملة، أي إذا سألت شخصًا، أو مخلوقًا أمرًا لا يقدر عليه إلا الله، كأن تسأله أن ينزل المطر، أو أن يهب لك الولد، أو غيرها، فهذا شركٌ أكبر مخرج من الملة؛ لأن هذا الأمر لا يقدر عليه إلا الله.

الحالة الثانية: أن يكون الشيء التي تسأله أو تستعين شخصًا آخرا عليه، مما يقدر عليه المخلوق، كمن يسأل شخصًا أن يعينه بأن يحمل متاعه على الدابة، أو أن يوصله إلى مكانٍ ما، فهذا لا حرج فيه إن شاء الله، وهو جائز.

لكن ثمة تنبيه: وهو أن الإنسان ينبغي له أن يعود نفسه ترك سؤال الناس، ومحاولة قضاء حاجته بنفسه؛ لأن هذا هو المستحب، قد كان الصحابة –رضي الله عنه- يسقط لأحدهم سوطه، فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه، وكذلك من اعتاد سؤال الناس والاستعانة بهم في حاجياته مهما كانت، فإنك تجده يعلق قلبه بالناس، وينسى جانب التوكل على الله تبارك وتعالى، وهذا مذموم.

نعم؛ الإنسان إن استعان بمخلوق، أو سأل مخلوقًا ما شيئًا يقدر عليه، فيجب عليه دائمًا أن يعتقد أن الله تبارك وتعالى، هو المعطي والمانع حقيقةً، وأن هذا المخلوق ما هو إلا سبب من الأسباب، و دائمًا يجعل قلبه مُعلقًا بالله تبارك وتعالى.

ثم قال النبي –ﷺ-: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**».

يعني هذا الكلام فيه عِظم أمر التوكل على الله تبارك وتعالى.

والتوكل هو: اعتماد القلب على الله في جلب النفع، أو دفع الضر، مع اتخاذ الأسباب الشرعية.

هذا هو تعريف التوكل، فالمرء إذا عَلِم أن النافع والضار حقيقةً هو الله تبارك وتعالى، وأن المخلوقين، ليس لهم من الأمر شيء، إلا ما أقدرهم الله تبارك وتعالى عليه، فهذا يقوي إيمان المرء، ويقوي توكله على الله تبارك وتعالى، وبهذا يحرص الله على الاعتماد على الله تبارك وتعالى، وسؤاله حاجاته.

وكما أسلفنا: هذا لم يمنع من اتخاذ الأسباب، بل اتخاذ الأسباب من التوكل على الله تبارك وتعالى، لكن دائمًا وأبدًا قلب المؤمن الموحد معلقٌ بالله تبارك وتعالى، ولا يعلق قلبه بالبشر، أو بالأسباب.

أخيرًا ما في رواية غير الترمذي، وهذه الرواية حَكم عليها الحُفاظ بالضعف، ومنهم ابن رجب –رحمه الله تعالى-، وما مضى من الحديث يغني عنه.

الحديث العشرون

قال النووي –رحمه الله تعالى-:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عقبة بن عمرو الأنصاري الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

معنى الحديث: أن من بقايا النبوة الأولى التي كانت في الأمم السابقة، وأقرتها الشريعة هذا الكلام:

«إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»، وهذا للعلماء في تفسيره قولان:

القول الأول: أن الشيء المراد فعله، إذا لم يكن مما يستحيا منه، فلا بأس بفعله ما لم يترتب عليه مفسدةٌ راجحة، فيكون قوله: **«فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»**، يعني أمرٌ يُراد به الإباحة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[المائدة:2] فالصيغة صيغة أمر، لكن المراد بها الإباحة والجواز الأمر.

المعنى الثاني: هو أنك إذا لم تستحي من الله تبارك وتعالى، ولم تراقبه في السر والعلن، يعني فأفعل ما شئت، وأعطي نفسك مناها، والموعد يوم الحساب.

فيكون قوله –ﷺ-: **«فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»**، أو يكون هذا القول، **«فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»** يراد به التهديد، نظيره قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت:40]، فالمراد بهذا الكلام **«فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»** هنا المراد به التهديد. هذا معنى الحديث، وكلا المعنيين يعني صحيحين.

وفيه أيضًا الثناء على الحياء، وقد جاء في الحديث الآخر: **«أن الحياء شعبةٌ من الإيمان»**، **والحياء نوعان:**

حياءٌ يتعلق بحق الله: ومعناه أن تستحي من الله تبارك وتعالى، أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك، فإذا همت نفسك بالذهاب إلى مكانٍ يُعصى فيه الله تبارك وتعالى، فاستحي من الله.

وكذلك إن سولت لك نفسك، وثبطتك عن الذهاب مثلًا إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة، فاستحي من الله واذهب، يعني فاستحي من أن يفقدك الله تبارك وتعالى حيث يجب أن تكون، هذا كافٍ لتحفيز المرء على الذهاب إلى صلاة الجماعة.

النوع الثاني من الحياء: هو الحياء من المخلوق، وهو أن تكف عن كل ما يخالف المروءة والأخلاق، وأيضًا الحياء قد يكون جبليًا، وقد يكون مكتسبًا.

وهنا تنبيه بالنسبة للحياء: الحياء يكون محمودًا إذا لم يمنعك من فِعل ما يجب فعله، أو من ترك ما يجب تركه، فلو منعك الحياء من هذا، فلا يسمى حياءً، البعض يسميه حياء مذمومًا، لكن الأولى تسميته خجلا، كما سماه بعض العلماء، وهو مذموم. الحياء، كما قال النبي -ﷺ-: "لا يأتي إلا بخير"، والخجل قد يمنع صاحبه مثلًا من إنكار المنكر، فإذا تركت مثلًا إنكار المنكر يعني خجلًا من الناس، فهذا مذموم، ولا يسمى حياءً، ولا يقال أنك حيي، لا، هذا ما يتعلق بهذه النقطة، والله أعلم.

الحديث الحادي والعشرون

ثم قال -رحمه الله-: **عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**

سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه-، سأل النبي -ﷺ-أن يعلمه قولًا جامعًا لمعاني الإسلام، واضحًا، بحيث لا يحتاج إلى غيره؛ لكي يفسره له، فأجابه النبي -ﷺ- بقوله: **«قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ».**

و هذا الجواب من جوامع كلم النبي -ﷺ-، يعني الكلمات القليلة اليسيرة التي فيها المعاني الكثيرة الكبيرة.

فأمره النبي -ﷺ- بأن يجدد إيمانه بلسانه، وبعد ذلك أمره بالاستقامة على أمره، بأن يفعل ما أمر الله به، وينتهي عما نهى الله عنه، وهذه الوصية نظيرها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:30]

رتب على الإيمان والاستقامة، السلامة من جميع الشرور، وحصول الجنة وجميع المحاب، وأمره هنا

بأن يجدد إيمانه وبلسانه، لا يعني أنه يكتفي في الإيمان بقول اللسان، أو يُكتفى بالإيمان في الإيمان بقول اللسان، لا، بل كما مرَّ معنا الإيمان اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعمل بالجوارح، لابد من هذه الأركان الثلاثة.

وكذلك من معاني الاستقامة التي أمره النبي –ﷺ- بها، يعني أن يكون معتدلًا بين الغلو والجفاء، فلا يغلو في الدين، ولا يتساهل ويُميّع أمور الدين، يعني كالذين يدعون الآن إلى التيسير والتسهيل في أمور الدين، وهو في الحقيقة تميعٌ وتضيعٌ لديننا، فلم يتركوا لنا لا حجابًا ، الحمد لله الحجاب بمواصفاته الشرعية مبينة وبينه أهل العلم، لكنهم أضلوا الناس فأوهموهم أن الحجاب فقط هو تغطية شعر المرأة، كذلك لم يتركوا لا ولاء لا براء، حتى أنهم أصبحوا ينادون بمناداة الكُفار بغير المسلمين، يعني تلطفًا معهم، ويقولون اليهود إخواننا، والنصارى إخواننا، وكذا وكذا، إلى غير ذلك، كل هذا بداعي، أو دافع التسهيل، وغير ذلك، وكذلك يعني في الحج، قالوا افعلوا ولا حرج، فضيعوا جميع الأركان، وضيعوا كثيرًا من الأمور، كثير من معالم الدين بهذه الدعوة، فينبغي على المسلم أن يحذر من هذه الدعوات التي توجد في الساحة الآن، وعليه بما كان عليه سلفنا الصالح –رضوان الله عليهم-. فكل الخير في إتباع من سلف، وكل الشر في ابتداع من خلف.

الحديث الثاني والعشرون

ثم قال النووي –رحمه الله-: **عَنْ جَابِرِبْنِ عَبْدِ اللّهِ الأنصاري رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قال: وَاللّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**

قال النووي: معنى «وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ» اجتنبتم،

ومعنى «وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ» فعلته معتقدًا حِلهُ.

فهذا الصحابي، يعني سأل رسول الله –ﷺ- إن أرأيت إن صليت الصلوات يعني المكتوبات فقط، يعني وصمت الشهر الواجب يعني صومه، يعني ولم يذكر الزكاة لعله لم يكن عنده مالٌ؛ حتى يخرج الزكاة.

قال: «وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ»، يعني فعلت الحلال مُعتقدًا حِله،

«وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ» يعني مُعتقدًا حُرمته،

«وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا»، يعني لا يزيد لا يفعل النوافل، ولا يترك المكروهات.

قال: «أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ له النبي –ﷺ-: نَعَمْ»، فالحديث دليلٌ على أن من أدى الواجبات وترك المحرمات، واكتفى بما حلّ من المأكل والمشرب والمعاملات، وترك ما فيه حرُمة، وما تبيّن له أنه حرام، أنه

يدخل الجنة.

وقد جاء في القرآن أن المؤمنين ثلاثة أقسام، كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[فاطر:32].

قَسَّم الله تبارك وتعالى المؤمنين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الظالم لنفسه؛ وهو الذي يقع في شيءٍ من المعاصي التي هو دون الشرك والكُفر، ويفعل الأوامر، لكن قد يترك شيئًا منها، فهذا يكون تحت مشيئة الله تبارك وتعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؛ لأنه يكون قد وقع في شيءٍ من الكبائر.

والمقتصد هو الذي جاء الكلام عنه في هذا الحديث: فهو الذي يفعل الواجبات والفرائض ولا يتعداها، ويترك المحرمات كذلك، لكن هذا المقتصد لا يفعل النوافل، ولا يترك المكروهات، وهو الذي جاء الكلام عنه في حديثنا.

القسم الثالث من المؤمنين: هو السابق بالخيرات، وهو الذي يؤدي الواجبات والفرائض والنوافل، ويجتنب المحرمات والمكروهات، وشيئًا من المباحات، وهذه المرتبة مرتبة السابق بالخيرات هي أعلى المراتب.

كل المراتب الثلاث، الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، كلهم موعودون بالجنة، حتى الظالم لنفسه مادام ليس عنده شرك، ومادام ليس عنده أعمال تخلده في نار جهنم، والعياذ بالله، فمآل المؤمنين جميعًا إن شاء الله إلى الجنة.

هذا ما يتعلق بهذا الحديث، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الدرس الحادي عشر من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (11) التاريخ: السبت 1440/05/20 هـ 26/يناير/2019 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فدرسنا الليلة إن شاء الله تعالى هو **الدرس الحادي عشر**، من دروس شرح الأربعين النووية، للحافظ أبي زكريا يحي بن شرف النووي –رحمه الله-.

الحديث الثالث والعشرون

قال –رحمه الله-:

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِث بِنْ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ –رَضِيَ الله عَنْهُ- قال: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الطّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرآنُ حَجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» رَوَاهُ مُسْلِم.

«الطُّهُورُ» بضم الطاء: اسم للفعل وهو التطهر، وبفتحها اسم لما يُتطهر به، سواء كان ماءً أو غيره.

والمراد في الحديث هنا «الطُّهُورُ» أي التطهر، لكن السؤال هو: التطهر من ماذا؟ كما تعلمون -حفظكم الله- الطهارة تنقسم إلى قسمين:

- **طهارة حسية.**
- **طهارة معنوية.**

الطهارة الحسية: **هي ارتفاع الحدث وما في معناه وزوال النجس.**

أما الطهارة المعنوية: **فهي الطهارة من الذنوب والمعاصي والسيئات**.[3]

قالت طائفة من العلماء: الطهور هنا حسيٌّ، يعني المراد بالحديث **«الطُّهورُ شَطرُ الإيمَانِ»** الطهور الحسي، والمراد بالإيمان الصلاة؛ لأن الصلاة جاء وصفها في الشرع بأنها إيمان، كما في قول الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:143]، إيمانكم: أي صلاتكم، فيكون

[3] الأولى تعريفها بأنها الطهارة من الشرك والبدع والمعاصي كما سيأتي.

الطهور شطر الإيمان؛ لأن الطهارة شرط في صحة الصلاة، والشطر معناه النصف أو الجزء الذي هو دون عن النصف.

وقالت طائفة أخرى من العلماء: الطهور هنا طهورٌ معنوي، وكما قلنا الطهور المعنوي هو التطهر من النجاسات المعنوية التي أعظمها الشرك، والتي منها أيضًا البدع والمعاصي والذنوب، وهذا القول مستند إلى أحد التفسيرين لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:4]، وعلى هذا فيكون الطهور هنا الطهارة المعنوية، والإيمان المُراد به الإيمان بالمعنى يعني الشرعي، لماذا؟ لأن الإيمان قسمان:

- فعلٌ.
- ترك.

والطهور المعنوي هو الترك، يعني تترك البدع وتترك المعاصي وتترك الشرك؛ لهذا كان الطهور شطر الإيمان؛ لأن الطهور بهذا المعنى أي ترك البدع والمعاصي والشرك يكون نصف الإيمان والنصف الآخر أفعالٌ العبد مأمورٌ بفعلها، هذا هو القول الثاني في المسألة.

والمُراد والصحيح -والله تعالى أعلم- وهو قول ثالث في المسألة وهو قول طائفة من أهل العلم أن المراد بالطهور هنا القسمان معًا، الطهور الحسي والمعنوي، التطهر الحسي والتطهر المعنوي جمعًا بين الأدلة؛ ولأن كلا المعنيين مراد.

ثم قال ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ»

«الْحَمْدُ»: هو وصف المحمود بالكمال محبةً وتعظيمًا، ووصف الإنسان لله تبارك وتعالى بأنواع المحامد محبةً وتعظيمًا له سبحانه يملأ ميزانه يوم القيامة، وهذا من سعة رحمة الله تبارك وتعالى، عندما تحمد الله تبارك وتعالى فتصفه بأنواع المحامد وتصفه بأنواع الكمالات التي هو أهل لها –سبحانه وتعالى- فإن هذا يملأ ميزانك يوم القيامة.

ثم قال: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ، أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»:

«وَسُبْحَانَ اللَّهِ» معناها: تنزيه الله –تبارك وتعالى- عن العيوب والنقائص، وأعظم العيوب والنقائص التي من واجبنا تنزيه الله –تبارك وتعالى- عنها هو اتخاذ الشريك؛ فأصبح عندنا هنا نفيٌ وإثبات، سبحان الله تنزيه لله –تبارك وتعالى- ونفي للعيوب والنقائص عنه تبارك وتعالى.

«الْحَمْدُ»: كما مر معنا إثبات أنواع الكمالات لله تبارك وتعالى، وإثبات صفات الكمال لله –تبارك وتعالى- فأصبح عندنا هنا نفي وإثبات، فعندما يسبح الإنسان فهو ينزه الله تبارك وتعالى عن العيوب والنقائص، وأعظم هذه العيوب والنقائص هو اتخاذ الشريك، ومماثلة الخلق له –سبحانه وتعالى- في أسمائه وصفاته، وعندما يحمده الإنسان فهو يصفه بصفات الكمال التي أثبتها الله –تبارك وتعالى- لنفسه سبحانه وتعالى.

فإذا قال المرء هاتين الكلمتين مستحضرًا لهذا المعنى وبنية خالصة فهذا يملأ ما بين السماء والأرض مع عِظَم المسافة التي بينهما إلا أنها تمتلئ بقوله هاتين الكلمتين؛ لأن حقيقتهما تنزيه لله -تبارك وتعالى- وإثبات لصفات الكمال له تبارك وتعالى.

لكن كما ذكرنا ننبه إلى أن المراد ليس قولهم فقط، بل المراد قولهم مع العمل بما يقتضيانه، فلا يصلح أن يأتي مشرك يشرك بالله تبارك وتعالى في عبادته ثم يقول سبحان الله ويريد أن تملأ هذه الكلمة ما بين السماء والأرض، لا، المراد هو العمل بمقتضى هذه الكلمات، وقولها باللسان مع حضور للقلب.

ثم قال ﷺ: «وَالصَّلاةُ نُورٌ»

المصلي الذي يحافظ على صلاته في وقتها ويؤديها بالصفة التي أداها بها النبي -ﷺ- هذا يجعل الله له نورًا في قلبه وفي وجهه، ويضيء له طريقه في الدنيا، وكذلك يجعل له نورًا في قلبه، ويجعل له نورًا يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:45]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:45].

الصلاة تنهى العبد عن الفحشاء والمنكر وتضيء له الطريق، وتجعله يعمل على نور من الله تبارك وتعالى، إذا أداها كما أداها النبي -ﷺ- وأداها في وقتها، مع الحفاظ على أركانها وواجباتها وشروطها؛ فإنها -بإذن الله- تكون له نورًا في الدنيا والآخرة.

ثم قال ﷺ: **«وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ»**

أي برهانٌ على صحة إيمان المتصدق به؛ لأنه لا يتصدق بالمال إلا من في قلبه إيمان، لماذا؟ لأن النفس البشرية تحب المال، وهي شحيحة إذا أراد الإنسان أن يتصدق، وإذا أراد الإنسان أن يضيع هذا المال، فإن النفس تأمر الإنسان بالبخل، هذا في الغالب، لكن المؤمن الصادق لحبه لفعل الخير، لحبه أن يحبه الله تبارك وتعالى، ماذا يفعل؟ يتصدق، فيكون هذا برهانًا على صدق إيمانه، بخلاف المنافق، المنافقون لا يتصدقون، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:54]، إذا حصل وأنفقوا فهم لا ينفقوا إلا رئاء الناس، وأيضًا إلا وهم كارهون.

ثم قال ﷺ: **«وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»**

الصبر كما تعلمون -بارك الله فيكم- ثلاثة أقسام:

- صبرٌ على طاعة الله حتى تُؤدى.
- صبرٌ عن معصية الله حتى تُجتنب.
- صبرٌ على أقدار الله تعالى.

فالمؤمن الصادق يصبر حتى يؤدي الطاعة على أحسن وجه، كما أمره بذلك الله تبارك وتعالى، ولابد أن يتحمل ذلك، وكذلك يصبر على ترك المعصية، المعصية قد تحبها النفس وتهواها، لكن المؤمن الصادق يصبر ويحمل نفسه على ترك هذه المعصية وعلى ترك هذا الذنب، لماذا؟ لأنه يريد رضا الله تبارك وتعالى.

وكذلك أقدار الله التي لا تلائم ما يحبه المرء؛ فإنه لا بد عليه من أن يصبر عليها، المرء قد يُبتلى بفقد من يُحب، ويُبتلى أيضًا بأنواع الابتلاءات، فلا بد له أن يصبر، ولا بد أن يحمل نفسه على ألا تتسخط على أقدار الله تبارك وتعالى، المؤمن الصادق لا يتسخط لا بقلبه، ولا بلسانه، ولا بجوارحه، إن كره ذلك بقلبه فإنه يكره ذلك ولكنه لا يتسخط، ولا يفعل إلا ما يرضي الله تبارك وتعالى.

وقد يرتقي المؤمن من هذه الدرجة، درجة الصبر، إلى درجة الرضا بقضاء الله -تبارك وتعالى- مع أنه تصيبه المصيبة، لكنه يكون راضيًا بقضاء الله -تبارك وتعالى-، وهذه المرتبة فوق مرتبة الصبر؛ ولذلك كان الصبر ضياء، الضياء فيه نورٌ مع الحرارة، الصبر لمشقته على النفس، ولمعاناة النفس جراء هذا الصبر؛ فإن النبي ﷺ شبهه بالضياء.

ثم قال ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حَجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»

القرآن إذا تلوته حق تلاوته وعملت به، فأحللت حلاله وحرّمت حرامه؛ كان حُجّةً لك يوم القيامة، وكذلك إذا لم تعمل به، فلا لحلاله أحللت ولا لحرامه تركت، لكن به تأكّلت وكان همك منه أخذ الأجرة على تلاوته، كان حُجّة عليك، وكان حفظك له وتلاوتك له وبالًا عليك وحُجةّ عليك، والله المستعان، الآن نجد كثيرًا ممن يُعدّون من حفظة كتاب الله إلا أنهم من أواخر من يمتثل ما فيه من أوامر، وتجدهم يخالفون صريح القرآن، ومع ذلك يدّعون أنهم من حملة كتاب الله، والله المستعان.

ثم قال النبي ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»

أي: كل الناس يخرج مبكرًا في الصباح، وهذا هو الغدو، وهذا الغادي يبيع نفسه، أي: يكلفها بالعمل، وهذا الذي يبيع نفسه إذا قام بأنواع الطاعات وترك المحرمات فهذا قد أعتق نفسه، وعمل للآخرة، أما إن أعطى نفسه الحرية وتركها تعمل ما يحلو لها، وفعل أنواع المحرمات وترك الواجبات، وكان من العاصين، فهذا–كما قال النبي ﷺ- أوبق نفسه، هذا لم يعتق نفسه، فالمسلم الذي يريد أن يعتق نفسه يُحاول و يسعى جاهدًا إلى فعل الطاعات، وإلى فعل ما أمر الله تبارك وتعالى به، ويسعى أيضًا جاهدًا ويحمل نفسه على ترك الذنوب والمعاصي؛ حتى يسعد في الدارين، يسعد في الدنيا ويسعد في الآخرة.

الحديث الرابع والعشرون

ثم قال النووي رحمه الله في الحديث الذي بعده: **عنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيّ رِضِيَ الله عَنْه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّه عَزَّوَجَلَّ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُم ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُه، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُه فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا زَادَ ذَلِك فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُم، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا نَقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِك، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رَوَاهُ مُسْلِم.**

هذا الحديث حديثٌ عظيم فيه بيان عظمة الله وسعة رحمته وفضله –سبحانه وتعالى- على خلقه، وهو حديث قدسي؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن الله تعالى، فإذا وجدت حديثًا فيه هذه العبارة –عبارة- فيما يرويه عن ربه، أو فيه قال النبي ﷺ قال الله تعالى: كذا، أو عبارة تدل على إضافة الكلام إلى الله -تبارك وتعالى- فاعلم أن الحديث قدسي.

وسمي قدسيا نسبةً إلى القُدُس، وهي نسبة تدل على التنزيه والتعظيم والتطهير، الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله تبارك وتعالى، ويرويه عن الله تبارك وتعالى النبي ﷺ، بخلاف الحديث النبوي، فهو وإن كان معناه من الله إلا أن لفظه من النبي ﷺ.

في هذا الحديث كرر الله تبارك وتعالى لفظ يا عبادي في كل فقرة من الفقرات، وهذا تلطفٌ منه سبحانه معنا، ومن رأفته بنا.

قوله تبارك وتعالى: **«إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»**

«الظُّلْمَ» هو وضع الشيء في غير موضعه، وقد حرّمه –سبحانه وتعالى- على نفسه، ولله -تبارك وتعالى- أن يُحرّم ما شاء على نفسه، وله أن يُوجب ما شاء على نفسه، كما قال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:12]، وله سبحانه وتعالى أن يُحق ما شاء على نفسه، كما جاء في الحديث: **«حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»**.

ومعنى قوله: أنه حرّم الظلم على نفسه أي: أنه منعها من الظلم مع قدرته عليه، وهذا جاء أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس:44]، وقال أيضًا سبحانه: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر:31]، ونفي الظلم عن الله –تبارك وتعالى- يتضمن وصفه بكمال العدل.

وقوله تعالى: **«وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»**

فالله –تبارك وتعالى- كما حرّم الظلم على نفسه، حرمه على عباده أي بينهم، وأمرهم بالعدل، ومرّ معنا في الأحاديث السابقة أن الظلم –بالنسبة للعباد- ينقسم إلى أقسام:

- **ظلمٌ متعلقٌ بحق الله تعالى وهو الشرك**، وهذا هو أظلم الظلم.
- **ظلم الإنسان لنفسه بأن يرتكب أنواع المحرمات والمعاصي**، ويترك ما أوجب الله –تبارك وتعالى- عليه، وهذا يعرضه لعذاب الله تبارك وتعالى.
- القسم الثالث: **هو ظلم الغير**، ويكون بأنواع التعدي والتسلط على الغير أو بمنع الغير من حقوقهم، وهذا كله مرّ معنا.

المهم عندنا هنا أن الظلم بأنواعه الثلاثة محرم، حرّمه الله تبارك وتعالى علينا، والله سبحانه وتعالى يتوعد الظالمين بالهلاك، والإنسان ينبغي أن يضع نصب عينه أن الظالم مهما تمادى في ظلمه، فإنه سيلاقي عاقبة ظلمه عاجلًا أم آجلًا، والمظلوم له دعوةٌ مستجابة، كما جاء في الحديث: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ

فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» يعني مهما كان المظلوم سواء كان مسلمًا أو كافرًا، فدعوته مستجابة وليس بينها وبين الله حجاب، فالإنسان أو المسلم الكيّس الفَطِن يخاف من الظلم؛ لأن عاقبته وخيمة، ويحاول جاهدًا الابتعاد عنه، وكثيرًا ما يكون الظلم من المرء للذين هم حوله، لا يبحث الإنسان بعيدًا، كثيرًا ما يجد الإنسان نفسه لو فتّش يجد نفسه ظالمًا لمن هم حوله، قد يجد نفسه ظالمًا لوالديه، وقد يجد نفسه ظالمًا لزوجته، وقد يجد نفسه ظالمًا لجيرانه، أو ظالمًا للعمال الذين هم تحت أمره في عمله، أو غير ذلك، يعني لا تبحث بعيدًا قد تجد نفسك ظالمًا لمن هو أقرب منك وأنت لا تشعر، كما قلنا الظلم: لو منعته حقه فقط ظلمته.

ثم قال سبحانه وتعالى: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»

«اسْتَهْدُونِي» أي: اطلبوا مني الهداية، والهداية نوعان:

- هداية البيان والإرشاد.
- هداية التوفيق والقبول.

هداية البيان والإرشاد: هذه تحصل لكل أحد، وكل أحدٍ يستطيعها[4]، وهي بيان الحق وإرشاد الناس إليه، وقد بيّن الله تبارك وتعالى أن الحق وأرشدنا إليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:123].

والقسم الثاني من الهداية: هي هداية التوفيق والقبول: وهذه خاصة بالله تبارك وتعالى لا يستطيعها سواه؛ فالقلوب بين أصبعين من أصابعه –سبحانه- يُقلبها كيف يشاء، وهذا النوع من الهداية لا يجوز طلبه من غير الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:272]، وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:56]، قالها للنبي ﷺ لما حاول أن يُميت عمه أبا طالب على الإسلام، فكان يقول له عندما حضرته الوفاة: «يا عَمِّ

[4] الأولى قول: هذه يستطيعها كل أحد.

قُلْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهَ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بها عِنْدَ اللّهِ»، لكن الله لم يوفق عمه للموت على هذه الكلمة، وقال عند موته: «بَلْ عَلَى مِلَّة عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»؛ فمات على الكفر وأنزل الله هذه الآية، وفيها بيان أن النبي ﷺ لا يملك هذا النوع من الهداية، بخلاف النوع الأول فقد أثبته الله له تبارك وتعالى كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

المهم أن قوله سبحانه: «**كُلُّكُمْ ضَالٌّ**»؛ لأن الله تبارك خلقنا جُهّالًا لا نعلم شيئًا لا نعلم طريق الحق، ومن لا يعلم طريق الحق فهو ضال، لا بد عليه أن يتعلم هذه الطريق حتى يسلكها، فإذا هداه تبارك وتعالى وبيّن له طريق الحق، ثم وفّقه –تبارك وتعالى- لسلوك هذا الطريق، فقد هداه الله سبحانه وتعالى. والهداية التي يطلب منها -سبحانه وتعالى- أن نسأله إياها هنا في هذا الحديث هي نوعا الهداية، النوعان معًا؛ فلا بد للمرء من معرفة طريق الحق، ولا بد له أيضًا من التوفيق؛ حتى يسلك هذا الطريق، فمتى اختلفت إحدى الهدايتين عن الإنسان ضل؛ لذا تجد الكثيرين لا يهتدون، أو لا يتوفقون إلى معرفة طريق الحق، وإن وُفِّقوا إلى معرفته فهم لا يتوفقون لسلوكه، ومن عرف الحق ووفِّق لاتباعه فليحمد الله، لماذا؟ لأنه في نعمةٍ عظيمةٍ لا يعرف مداها إلا من حُرمها.

ثم قال سبحانه وتعالى: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ**»

هذا فيه بيان أن الرزق من الله –سبحانه وتعالى- فهو المُنعم المُتفضل على عباده، والمرء ينبغي له أن يستحضر دائمًا هذا، وأمّا الأسباب التي يتخذها الإنسان في طلب الرزق هي مجرد أسباب، وليست هذه التي ترزق، الرازق الحقيقي هو الله –تبارك وتعالى-، إذا اعتقد الإنسان هذا فسيكون دافعًا كبيرًا له لكي يتخذ الأسباب الشرعية في طلب الرزق، أو الأسباب الحلال في طلب الرزق، كثيرٌ من الناس يظن أن هذه الأمور هي التي ترزق، وتجده يفعل الكثير من المحرمات للحصول على المال، لكن لو استحضر الإنسان أن كل هذا الرزق هو توفيق من الله، وهو من الله تبارك وتعالى، والله سبحانه وتعالى هو الذي يعطيك هذه الأمور، وأن كل هذه الأمور التي يتخذها الإنسان كأسباب هي أسبابٌ للحصول على هذا الرزق فهذا سيكون دافعًا كبيرًا للمرء حتى يُجمل في الطلب كما جاء في الحديث.

ثم قال تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُه فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»

«عَارٍ» أي عارٍ من الثياب، والله سبحانه وتعالى هو الذي كسانا ورزقنا هذه الكسوة كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف:26]، وفي هاتين الجملتين، الجملة السابقة وهذه من الحديث بيان لشدة افتقار العباد إلى الله، وأنه سبحانه هو الذي يكسوهم، وهو الذي يرزقهم، فالعباد فقراء إلى الله –سبحانه وتعالى- ولولا الله سبحانه وتعالى لما أكلنا، ولما لبسنا، وكل هذا من فضل الله تبارك وتعالى علينا؛ فلا بد من شكر هذه النعم والعمل بالصالحات، واجتناب المحرمات؛ حتى يكون الإنسان شاكرًا لنعم الله -تبارك وتعالى- التي هو فيها.

ثم قال سبحانه وتعالى: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمُ الَّذِينَ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ».

«تُخْطِئُونَ» تعملون السيئات، سواء كان الفعل هذه السيئات بفعل المحرمات أو بترك الواجبات، فهذه طبيعة بني آدم أنه يخطئ، كما قال النبي ﷺ: «كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخطَّائينَ التوَّابونَ»، والمرء ما دام يخطئ فهو بحاجة إلى الاستغفار والتوبة إلى الله؛ لذلك قال تعالى: «فَاسْتَغْفِرُونِي» أي: فاطلبوا منّي المغفرة، وجميع الذنوب يغفرها الله تبارك وتعالى بالتوبة والاستغفار، حتى الشرك بالله يغفره الله بالتوبة، وهذه نعمة عظيمة علينا، قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:53].

فالإنسان لا ييأس من رحمة الله، ولا يقل أنا أسرفت على نفسي، وقضيت كل عمري في المعاصي والآثام فكيف يغفر الله لي؟ لا، هذا من تلبيس الشيطان، الله -تبارك وتعالى- وعدنا بالمغفرة، بشرط أن نتوب إليه سبحانه وتعالى، ووعدنا أيضًا أن يبدل سيئاتنا حسنات، المهم أن الإنسان يتوب وينيب إلى الله -تبارك وتعالى- ويقلع عن هذه الذنوب التي هو فيها.

ثم قال تعالى: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»

من كفر وأشرك وعصى الله -تبارك وتعالى- فلن يضر الله ذلك، المتضرر الوحيد هو هذا العاصي، الله –سبحانه وتعالى- ليس بحاجة إلى عبادة الناس، وإلى طاعاتهم، مهما أطعنا الله تبارك وتعالى، فهذا لا ينفع الله، بل ينفعنا نحن، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران:176].

ثم قال سبحانه في الحديث: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا»

هذا كالذي قبله، تقوى العباد وطاعاتهم لا تنفع الله –تبارك وتعالى- بل تنفعنا نحن، عبادَ الله نحن محتاجون إلى هذه الأعمال الصالحة، فهي لا تنفع الله ولا تزيد في ملكه سبحانه وتعالى شيئًا، إن نحن أطعنا الله، فسيجازينا على هذه الأعمال، وتكون نافعةً لنا، أما هو سبحانه فلا تزيد في ملكه شيئًا.

ثم قال سبحانه وتعالى: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا نَقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»

«صَعِيدٍ» هو: ما تصعّد على وجه الأرض، ومعناه: أنكم أيها الناس كلكم لو اجتمعتم في مكانٍ واحد، وكل واحد سأل الله –تبارك وتعالى- أمرًا وأعطاه سبحانه سؤله لم ينقص ذلك من ملك الله، ومثّل لذلك بقوله: إِلَّا كَمَا نَقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» المخيط هي الإبرة الحديدية، ومعلوم أن هذا المخيط أو الإبرة إذا أُدخلت في البحر لا تنقص من البحر شيئًا.

ثم في الأخير قال: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا»

أي أن الله –تعالى- يُحصي لنا أعمالنا وهي مدونة في صحائف أعمالنا وفيها كل شيء نعمله.

قال: «فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»

أي أن الله –تبارك وتعالى- يُحاسبنا على أعمالنا، ما هو في صحائفنا، يُحاسبنا ويجزينا عليه، السعيد

من أعدّ لذلك اليوم العُدّة وعمل بطاعة الله –تبارك وتعالى- والشقي من منّى نفسه، وعمل بهواه، وترك طاعة الله سبحانه وتعالى، وملأ صحيفته بالسيئات والذنوب، ثم يوم القيامة كما قال الله تعالى: «لَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

الحديث الخامس والعشرون

ثم قال النووي -رحمه الله- في الحديث الذي بعده، **قال: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رِضِيَ الله عَنْه**، «**أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ** –ﷺ- **قَالُوا لِلنَّبِيِّ** –ﷺ-: **يَا رَسُولَ الله**، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: **أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ :أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**». **رَوَاهُ الْإِمَام مُسْلِم.**

في هذا الحديث يتبيّن لنا حرص الصحابة –رضوان الله تبارك وتعالى عليهم- على الخير، وقد اشتكى فقراء الصحابة اشتكوا إلى النبي -ﷺ- أن الأغنياء منهم ذهبوا بالأجر، فقالوا: إنهم يصلون مثلما يصلون، ويصومون مثلما يصومون، وزيادة على ذلك يتصدقون بفضول أموالهم، وهؤلاء الفقراء لا مال لهم؛ ليتصدقوا به، فأرشدهم النبي –ﷺ- إلى أن معنى الصدقة أوسع مما يتصورون، وبيّن لهم أشياء يعني هي من الصدقات.

فقال لهم: «**إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً**» فإذا قال المسلم سبحان الله كانت له صدقة، «**وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً**» إذا كبّر الإنسان وقال: الله أكبر، كانت له صدقة، وإذا حمد الله،«**كُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً**» إذا قال الحمد لله كانت له صدقة، «**وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً**» أي: إذا قال الإنسان لا إله إلا الله كانت له صدقة.

وهذا القسم من الأعمال نفعه قاصرٌ على صاحبه، بيّن لهم أيضًا أعمال متعدية إلى الغير، لهم بها أجرٌ وصدقة.

فقال لهم: «وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ»

إذا رأى الواحد منّا منكرًا ونهى صاحبه عنه وأنكره فكانت له بذلك صدقة، وإذا أمر شخصًا بالمعروف كانت له صدقة أيضًا.

ثم قال: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»

أي أن الواحد منّا إذا جامع زوجته كانت له بذلك صدقة، وهذا أيضًا أشكل على بعض الصحابة فسألوا النبي -ﷺ- عن ذلك فقال لهم: كما أن المرء إذا وضع شهوته في الحرام كان له وزرٌ على ذلك، فكذلك عندما يضعها في الحلال يكون له بذلك الأجر.

وبعض هذه الأمور فيها تفصيل كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متى يجوز؟ ومتى لا يجوز؟ وكذلك هذا الأمر، أمر الجِماع متى يكون واجبًا على الإنسان؟ ومتى يكون مستحبًا؟ لكن ليس هذا موضع بسطها، ولعلنا نتركها إلى مواضع أخرى.

هذا ما يتعلق بأحاديث اليوم، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

الدرس الثاني عشر من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (12) *التاريخ: السبت 1440/05/27 هـ 02/شباط/2019 م*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذا هو **الدرس الثاني عشر** من دروس شرح "**الأربعين النووية**" للحافظ أبي زكريا يحي بن شرف النووي -رحمه الله-.

الحديث السادس والعشرون

قال رحمه الله-: **عَنْ أَبي هُريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». رواه البخاريُّ ومسلِمٌ.**

السُلامى هو المفصل، كما جاء مبيَّنًا في حديث عائشة -رضي الله عنها- عند مسلمٍ، أن رسول الله -ﷺ- قال: «خَلَقَ الله ابن آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ» الحديث.

ومعنى هذا الحديث: أن هذه المفاصل التي تربط بين عظام الجسم من أعظم نِعم الله تعالى علينا، وهذه النِعم تحتاج إلى شُكر، نِعمة المفاصل هذه تحتاج إلى شكر، فإذا تصدق الإنسان بعدد المفاصل من الصدقات، حصل له بذلك شُكر الله عليها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[الملك:23]

لكن لا يذهب ذهنك إلى أن الصدقات هذه لابد أن تكون من المال، وحتى لا يحصل لك هذا، بيّن لنا النبي -ﷺ- طرقها وأنواعها، في الحديث السابق، وفي هذا الحديث أيضًا.

وسبق في الحديث الذي مضى بيان أن الصدقات منها ما يكون نفعه متعديًا كالإصلاح بين الناس، وإعانة الرجل على دابته، وإماطة الأذى عن الطريق، والكلمة الطيبة، وغيرها.

ومنها ما يكون نفعه قاصرًا على النفس، كالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، والمشي إلى الصلاة، وغيرها من أنواع يعني العبادات التي نفعها قاصرٌ على النفس.

قوله -ﷺ-: «تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ»، معناه أن تُصلح بين اثنين متخاصمين، وتُصلح بينهما بالعدل، لا بالهوى، ولا بأي نوع من أنواع الإصلاح الأخرى، وهذا الفعل من أفضل أنواع الصدقات، ومن أحب القربات إلى الله تعالى، كما قال عز وجلّ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء:114].

ثم قال النبي -ﷺ-: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ»، أي إعانة الرجل في مركوبه سواءً كان سيارةً، أو دراجةً نارية، أو دراجةً عادية، أو شخصًا يريد أن يركب الحافلة، أو غيرها من أنواع المركوبات، فتساعده في ركوبها، أو في إصلاحها إن كانت عاطلة، أو تُعينه في وضع متاعه عليها، كل هذا من الصدقات، وهو داخلٌ أيضًا في التعاون على البِر والتقوى، وهو كذلك من أسباب إعانة الله للعبد، كما جاء في الحديث: «والله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

ثم قال: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»، الكلمة الطيبة تشمل كل كلمةٍ تقربك إلى الله، كالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وهذا النوع من الكلام الطيب يكون بين العبد وربه.

والنوع الثاني من الكلام الطيب: أو من الكلمة الطيبة هو ما يكون بين الناس، ما يكون بين الناس كإفشاء السلام، وتشميت العاطس، والكلام الجيد الجميل، الطيب الذي يُطيّب خواطر الناس، ويشرح صدورهم، كله داخلٌ في معنى الكلمة الطيبة، فإن وجدت شخصًا مهمومًا، فكلمته بكلامٍ طيبٍ، وذكّرته بالله، وذكرته بأن هذه الدنيا فانية، وأزحت من قلبه شيئًا من الهم، فهذا من الكلام الطيب، إن أفشيت السلام، فهذا من الكلام الطيب، إن شمّتَّ عاطسًا، فهذا من الكلام الطيب.

يعني كل هذا يدخل في الكلام الطيب، فلا يستهين الإنسان بهذه الأمور التي هي صدقات، وليوطن نفسه على هذا، حتى إن كانت هذه الأمور ليست من طبعه، فعليه أن يتطبع بها؛ لأنها من حسن الخلق، ومن الكلام الطيب الذي يؤجر عليه الإنسان.

ثم قال -ﷺ-: «وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ»، كل خطوةٍ تخطوها وأنت ذاهبٌ إلى المسجد لأداء الصلاة لك بها صدقة، انظر إلى سعة فضل الله عز وجلّ، ورحمته بنا، يفرض علينا الصلاة في المسجد - صلاة الجماعة واجبة على الراجح من أقوال أهل العلم- ثم يجازينا على كل خطوةٍ نخطوها إلى تلك الصلاة بصدقة، انظر -بارك الله فيك إلى هذا الفضل العظيم الذي يجنيه الإنسان إن أخلص نيَّته عند ذهابه إلى المسجد.

عندك خمس صلوات تؤديها جماعة، إذا كان المسجد بعيد عنك قليلًا، فإن شاء الله عندك فضلٌ عظيم، لكن ينبغي على الإنسان التنبه فقط للنية، أن ينوي عند خروجه من المنزل أنه ذاهبٌ إلى المسجد، أحيانًا الإنسان تكون له حاجيات يقضيها، تتزامن مع وقت ذهابه إلى الصلاة، فبدل أن يخرج من بيته ناويًا أنه ذاهب إلى الصلاة، يخرج لقضاء هذه الحاجات، فالإنسان يكون ذكيًا نوعًا ما، يجعل نيَّته وقصده المسجد لأداء الصلاة، وبعد المسجد يقضي حاجياته الأخرى حتى لا يضيّع هذا الفضل.

ثم قال النبي -ﷺ-: **«وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»**، أي تزيل الأذى عن المارة، وتُزيل الأذى من الطريق، وأيًا كان نوع هذا الأذى، سواءً كان حجارة، أو شوك، أو مسامير، أو قاذورات، إن أزلتها عن الطريق، فإنك تؤجر بذلك إن شاء الله، ويكون لك بها صدقة، كل هذه الأمور التي ذُكرت في الحديث تُشكر بها هذه النعمة، نعمة المفاصل التي أعطانا الله تبارك وتعالى إياها.

وقد جاء في طريق أبي ذرٍ -رضي الله عنه- لهذا الحديث قوله -ﷺ- في آخره: **«وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى»**، يعني يجزئ عن هذا كله أن يصلي الإنسان ركعتين في وقت الضحى، فإنهما تجزآن عن الثلاثمائة وستين صدقة اللازمة لشكر هذه النعمة، نعمة المفاصل.

ووجه كون الركعتين مجزئتين عن الثلاثمائة وستين، بأن صلاة الركعتين يتم فيها استعمال جميع الأعضاء والمفاصل التي يتوجب علينا شكر الله عز وجلّ عليها، فكلها ستُستعمل في هذه الطاعة وهذه العبادة؛ لذلك كانت كافيةً في شكر هذه النعمة، بنحو هذا الكلام وجَّه الحافظ ابن رجب -رحمه الله-، كون الركعتين مجزئتين عن الأنواع الأخرى التي يحصل بها شُكر هذه النعمة.

الحديث السابع والعشرون

ثم قال النووي -رحمه الله-: وعن النَّوَّاسِ بنِ سمعانَ –رضي الله عنه-، عن النبي –ﷺ- قَالَ: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ: مَا حاكَ فِي نَفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»، رواه مسلمٌ.

وعن وابصةَ بنِ مَعْبِدٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «أَتَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ فَقَالَ: جِئْتَ تسأَلُ عنِ البِرِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفسُ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثمُ: مَا حاكَ فِي النَّفْسِ، وتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ».

قال النووي: (حديثٌ حسنٌ، رويناه في مسندي الإمام أحمد بن حنبل والدارمي بإسنادٍ حسن).

انتهى كلام النووي –رحمه الله-.

- حديث النواس صحيح لا غُبار عليه، أخرجه مسلم في صحيحه،

- أما حديث وابصة فضعيفٌ لا يصح، تكلم عن عِلله الحافظ بن رجب في شرح "الأربعين" بما لا مزيد عليه، فليُراجع كلامه من شاء.

وذكر ابن رجب نفسه لهذا الحديث طريقًا آخر: عن أَبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ –رضي الله عنه-، ولفظها مقاربٌ لحديث وابصة، قال أبو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ -رضي الله عنه-: **«قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي مَا يَحِلُّ لِي وَمَا يَحْرُمُ عَلَيَّ، قَالَ: الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ»**، فنعتمد حديث أبي ثعلبة إن شاء الله.

هذان الحديثان فيهما الكلام عن البِر والإثم؛ والبِر عرَّفه النبي -ﷺ-بتعريفين مختلفين، فقال في حديث النواس، قال: **«البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ»**، بينما في حديث وابصة، و قريبٌ منه في حديث أبي ثعلبة، قال: **«الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ»**.

التعريفان مختلفان قليلًا؛ وذلك لأن البِر يُطلق باعتبارين:

- يعني باعتبار ما يكون بين العبد وربه.
- وباعتبار ما يكون بين الناس.

فالأول: ما يكون بين العبد وربه، يُراد به الإيمان، البِر يُراد به الإيمان، ومنه فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، واجتناب جميع المحرمات الظاهرة والباطنة، كما جاء ذلك مبيّنًا في آية سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾[البقرة:177]

أما المعنى الثاني للبِر: فهو باعتبار معاملة الناس بالإحسان إليهم، لهذا وصفه النبي -ﷺ- بقوله: **«حُسْنُ الخُلُقِ»**، وهو من جوامع كلمه -ﷺ-؛ لأن هذه الكلمة كلمة "**حُسن الخلق**" يدخل فيها كل شيء، يدخل فيها طلاقة الوجه، يدخل فيها بذل الندى، يدخل فيها كف الأذى، يدخل فيها بِر الوالدين، يدخل فيها حُسن عشرة الزوج لزوجته وأهله، وغيرها من الأمور التي تدخل في هذه الكلمة.

ثم بيّن النبي -ﷺ- ما يُقابل البِر، الذي يقابل البِر هو الإثم، وجاء في الأحاديث أنه: **«مَا حاكَ في النَّفْسِ»** وأن المرء يكره أن يطَّلع عليه الناس.

وهذا الكلام ينبغي فهمه جيدًا، وتنزيله على مُراد صاحب الشريعة، لا كما يفهمه البعض، بعض الناس فهم من هذا أنه يستفتي قلبه في كل مسألةٍ تأتيه، وهو مع هذا جاهلٌ بالشرع لا عِلم له، ليس عنده علمٌ يحكم به، وهذا مشاهد كثيرًا في الجُهَّال فهم يتبجحون بأنهم يفعلون كيت وكيت من الأمور، ونحن

نعلم أنها محرمة، لكنهم لجهلهم ظنوها جائزة، وعندما تنبههم إلى أن هذه الأمور لا تجوز، يُجيبك بأنه يقولك: أنا الحمد لله، نفسي مطمئنة لهذا الفعل، ولا حرج في نفسي من فعله، مستدلًا بهذا الحديث على جواز هذا الفعل، وهذا خطأٌ كبير وفهمٌ للحديث على غير مراد صاحب الشريعة، الحديث ينبغي فهمه، كما فهمه صحابة رسول الله -ﷺ-، وكما فهمه سلفنا الصالح -رضوان الله تعالى عليهم- ولا نُعمل فيه عقولنا؛ لأن عقولنا قد لا تفهم الفهم الصحيح، أما أولئك فقد عاصروا التنزيل، وكانوا مع النبي -ﷺ-، فهم أصح الناس فهمًا لحديث رسول الله -ﷺ-.

ونحن نأخذ عن العلماء الذين ينقلون لنا كلامهم، فالعلماء في كلامهم عن هذا الحديث يفصِّلون القول، ويقولون: بأن المرء قد يحيك في صدره، وتتردد نفسه من فعل شيءٍ جاء النص به، عندك نص جاء في مسألة معينة، ومع هذا قد يحيك هذا الأمر في صدرك، وتتردد نفسك، فتجد حرجًا من فعل هذا الشيء، مع أنه كما قلنا: الدليل واضح وبيّن في وجوب فعله، أو في استحبابه، فيستدل بهذا الحديث عدم مشروعية فعل هذا الشيء، وأن هذا من الإثم، وهذا غلط عظيم لا يجوز، ولا يصح، وهذا فهمٌ فاسد، يعني بعض الناس يستدل سواءً يعني إذا أراد أن يُعفي لحيته، أو إذا أراد مثلًا أن يُقصر ثوبه، يعني وجد في نفسه حرج، وهذا الحرج نصفه من الشيطان، والباقي من الناس، من شياطين الإنس ربما الذين يعني يأتون ويوسوسون له، ويصدونه عن هذا الطريق، فيجد أن نفسه منقبضة، وأنه غير مرتاحٍ لهذا، فيأتيك بهذا الحديث، ويقول لك يا أخي: **«الإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ»**، فنقول له: أن هذا من الغلط العظيم، وهذا هو الإثم نفسه، لا فعل هذا الشيء، الواجب إذا جاء الدليل لوجوب فعل أمرٍ ما، أو باستحباب فعله، فالإنسان يفعل، وما يجده في صدره سيُذهبه الله تبارك وتعالى، يدعو الله تبارك وتعالى أن يُذهب ما في صدره، وما في قلبه، ويتوكل على الله، ويُطيع الله تبارك وتعالى.

الحال الثانية: التي يذكرها العلماء عند كلامهم لهذا، عن هذا الحديث: وهو أن يكون عند الإنسان مسألة، ويستفتي فيها أكثر من مفتي، هذا عند الأول فيخبره بالجواب، ثم يذهب عند الثاني يخبره بالجواب، فيحصل في قلبه نوع حرجٍ، وتتردد نفسه، بأي الأقوال تأخذ؟ بأي الأقوال تعمل؟ **وفي هذه الحالة**: الواجب عليه، كونه مقلد وكونه لا علم عنده ويميّز به بين الأقوال وبين الفتاوى، الواجب عليه أن يتبع الأعلم والأفقه، الذي أثنى عليه العلماء وقالوا بأنه عالم كبير، وبأنه فقيه، وأنه أعلم من الثاني، فهذا خذ بقوله ولا تتردد.

هذا إن كان عن عالمين من علماء السُنة، أما إن كان يعني أحد العالمين: عالم سنةٍ، وصاحب سنةٍ، ويفتي بالحق، ويفتي بالدليل، والآخر صاحب بدعة أو صاحب هوى، فلا شك أن هذا الثاني لا يؤخذ بكلامه، ولا يلتفت إلى قوله.

الإشكال في الناس الآن: أنهم يلقون أسماعهم لأصحاب البدع، تجد التلفاز والإنترنت مليئان بأهل البدع والأهواء، الذين يريدون جلب الناس بدعوى التسهيل عليهم، افعل هذا الشيء ولا حرج عليك، ويقابلون النصوص بآرائهم وأهوائهم. فتجد خلقا كثيرا من الناس يتعلقون بهم ويتبعونهم؛ فإذا بلغه كلام عالم معتبر، صاحب سنة، تضاربت عنده الأقوال، وتجده مرتابًا لا يدري بأيّها يعمل، فنقول له يا أخي: لا ترتاب، واتبع أهل السُنة، واتبع أهل الحق، ومن يفتيك بالدليل، ومن تعلم أنه صاحب سُنة، وأما من حذّر منه العلماء، أو كان مجهولًا لا تعلم حاله، فهذا لا تلفت إلى كلامه.

الحال الثالث: هي أن المرء قد يستفتي عالمًا في مسألةٍ ما، لكنه لم يُحسن صياغة السؤال، ولم يُعط العالم صورة المسألة، كما ينبغي أن تُعطى، فيفتيه على حسب سؤاله، وبعدها يحصل الارتباك والتردد عند هذا الإنسان، فيقول: أنا لم أخبره عن الشيء الفلاني، ولم أُبيّن له هذا الشيء، وغيرها من الأمور التي تحدث في النفس.

فنقول له: إن حصل هذا، فالواجب عليك أن ترجع عند هذا العالم، وتعطيه الصورة الحقيقة، أو الصورة الصحيحة لمسألتك، ليعيد الإجابة عليها، ويعطيك الحكم الشرعي الصحيح لهذه المسألة.

الصورة الأخيرة التي ممكن أن تكون عندنا: وهذه الحالة قد مرت معنا في حديث النعمان بن بشير –رضي الله عنه-، وهي في المشتبهات، التي لا يدري الإنسان حُكمها، يعني هل هي حلال أم هي حرام؟

فهذا يُحدث عنده ترددًا وضيقًا في صدره، أيفعل هذا الشيء، أم لا يفعله؟ أيجوز فعله، لا يجوز فعله؟ فهذا نقول له: لا تعمل إلا على بيّنة، إن كنت تجهل الحكم الشرعي وحصل عندك تردد فلا تفعل شيئًا إلا ببينة، اصبر، اسأل أهل العلم، اتصل بهم، بيّن لهم مسألتك، عندما يفتونك اعمل بقولهم.

هذا ما يتعلق بهذا الحديث، أو بهذين الحديثين، أرجو أن تكون الصور واضحة عندكم، ومفهومة.

الحديث الثامن والعشرون

ثم قال النووي –رحمه الله-: **عَنْ أَبي نَجِيحٍ العِرْباضِ بنِ سَارِيةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْها القُلوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْها العُيُونُ، فَقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، كَأَنَّها مَوْعِظَةُ مُودّعٍ فَأَوْصِنا. قالَ: «أُوصِيكُم بِتَقْوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَعَلَيْكُم عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». رواهُ أبو داوُدَ والتِّرمِذِيُّ، وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.**

حديث العرباض -رضي الله عنه- هذا: حديثٌ عظيم، وهو أحد الأدلة على أصلٍ من أصول أهل السُنة والجماعة، ألا هو السمع والطاعة في المعروف لولي الأمر المسلم، وعدم جواز الخروج عليه.

قال العرباض -رضي الله عنه-: (**وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً، بليغةً**)، **الوعظ هو التذكير المقرون بالترهيب والترغيب**، وقد كان رسول الله -ﷺ- يتخول أصحابه بالموعظة، ولا يكثر عليهم مخافة السآمة، فالوعظ مطلوب، لكن يجب أن يكون مَبينًا على الأدلة.

المشكلة في الوعاظ: أن أكثرهم قُصاص، يعتمدون على القصص الواهية، والأخبار المكذوبة، والروايات المصطنعة لوعظ الناس، وهذا ما جعل السلف يذمونهم، وجعل العلماء يحذرون منها، لكن إن كان الوعظ على طريقة النبي -ﷺ-، والصحابة، والسلف الصالح فهو ممدوح، ومطلوبٌ أيضًا.

قال العرباض -رضي الله عنه-: (**وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْها القُلوبُ**)، وَجلت بمعنى خافت، (**وَذَرَفَتْ مِنْها العُيُونُ**)؛ أي بكت. في هذا بيان أن الصحابة كانوا أصحاب قلوب رقيقة، يتأثرون بالوعظ والتذكير، خلافًا لما عليه أكثر أهل زماننا، قَل من يتذكر، وقَل من يوجل عند التذكير، وربما يقابلك بقوله: أعرف كل هذه الأمور، وأنت لم تأت بجديد، لكن حاله لا تتغير، بل هي سيئة أو من السيئ إلى الأسوأ، والله المستعان.

كثير من الناس إذا وعظته، وإذا بينت له خطورة الربا، وخطورة بعض الكبائر، وخطورة الشرك بالله عز وجل، يعني يقابلك بقوله: اعلم هذا، وأنت لم تأتي بجديد، لكن ماذا تريد أن تفعل؟ يعني الوضع والحال، والدنيا كلها مبنية على هذه الأمور الآن، فكيف تريدني أن أترك هذا؟ إلى غيرها من الأعذار القبيحة، وتجد قلبه لا يحصل فيه خوفٌ من الله عز وجل، وخوفٌ من عقاب الله عز وجل، والله المستعان.

قال العرباض -رضي الله عنه-: (**فَقُلْنا: كَأَنَّها مَوْعِظَةُ مُودِّعٍ**)؛ يعني لما أبلغ النبي -ﷺ- في الوعظ على غير العادة، فهموا أنها الموعظة مودعٍ؛ لأن المودع يتكلم ويتطرق إلى مواضيع لا يتطرق إليها عادةً، يعني إذا كان باقيًا في قومه، ففهموا أن النبي -ﷺ- وعظهم موعظة مودعٍ، فطلبوا منه الوصية، أن يوصيهم بجملةٍ من الأمور، يوصيهم ما يراه مهمًا بالنسبة إليهم، وبما يرى أنه من الواجب عليهم أن يتمسكوا به بعده -ﷺ-، فأوصاهم النبي -ﷺ- بأمورٍ:

أولها: تقوى الله عز وجل، والتقوى مرت معنا، وتكلمنا عنها، ولا بأس أن ذِكر تعريف طلق بن حبيب -رحمه الله-.

قال طلق في تعريف التقوى: وتعريف التقوى الذي ذكره طلقٌ أثنى عليه السلف، وأشادوا به، قال رحمه الله: ((**التقوى أن تَعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على**

نورٍ من الله تخاف عذاب الله)).

قال الحافظ الذهبي مُعلقًا على كلام طلقٍ هذا: ((أَبْدَعَ وَأَوْجَزَ، فَلاَ تَقْوَى إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ بِتَرَوٍّ مِنَ العِلْمِ وَالاِتِّبَاعِ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالإِخْلاَصِ للهِ، لاَ لِيُقَالَ فُلاَنٌ تَارِكٌ لِلْمَعَاصِي بِنُورِ الفِقْهِ، إِذِ المَعَاصِي يَفْتَقِرُ اجْتِنَابُهَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَيَكُوْنُ التَّرْكُ خَوْفًا مِنَ اللهِ، لاَ لِيُمْدَحَ بِتَرْكِهَا، فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الوَصِيَّةِ فَقَدْ فَازَ)).

انتهى كلام الحافظ –رحمه الله-، وهو كلامٌ ذكره في السِّيَر.

هذا تعريفٌ ابن المنذر في التقوى، وهو كما قال الذهبي –رحمه الله-: أبدع وأوجز طلقٌ في تعريفها، "أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عذاب الله".

يعني تعمل بالطاعة، والطاعة حتى تعرفها لابد أن يكون لك علم، وهذا معنى قوله: "على نورٍ من الله"، وتحتاج لهذا إلى نية، وإلى إخلاص، وهي ما عناه بقوله: ترجوا ثواب الله أو تخاف عذاب الله.

الوصية الثانية من الوصايا: هي السمع والطاعة في المعروف لولاة أمر المسلمين: طاعة ولاة الأمر واجبةٌ في المعروف، وبها قِوام مصالح العباد، وبدونها تصبح الأمور فوضى، كما نراه في بعض البلاد الإسلامية.

أما إن أمروا بالمعصية، إن أمرك ولي الأمر بالمعصية، فلا سمع له ولا طاعة في تلك المعصية التي أمر بها، كما جاء في الحديث: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»، ومع هذا لا نخرج عليهم، ولا ننازع الأمر أهله.

قد جاء في الحديث: «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»، وجاء عن البخاري من حديث أنسٍ –رضي الله عنه-: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم واجبٌ في المعروف، حتى لو كان ولي الأمر هذا عبد حبشي، فطاعته واجبة ما لم يأمرنا بمعصية، فإن أمرنا بمعصية فلا سمع له ولا طاعة في تلك المعصية.

وحتى لو تأمّر علينا، كما جاء في الحديث، حتى لو تأمّر علينا، يعني أخذ السُلطة بالقوة والقهر، واستتب له الأمر فطاعته تجب حينئذٍ؛ لأن في الخروج عليه، ساعتئذ مفسدةٌ عظيمة، وهي عدم احتقان دماء المسلمين، إن أستتب له الأمر يجب أن يُطاع عملًا بهذا الحديث.

ثم قال النبي –ﷺ-: **«فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»**.

هذا إخبارٌ منه –ﷺ- بما سيقع بعدهُ من اختلافٍ وفِتن، وقد حصل ما أخبر به –ﷺ-، لكنه –ﷺ- من شدة نصحهِ للناس، أخبرنا بما سيحصل وبالعلاج، أخبرنا بما سيحصل، وبما يجب علينا أن نفعله إن أدركنا ذلك.

فقال: **«فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»**، ووصفهم بأنهم راشدون

ومهديون من بعدي،

«وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، إذا أردنا النجاة من الاختلاف ومن الفتن، الذي حصل ويحصل وسيحصل، فعلينا بالتمسك بسُنة النبي -ﷺ-، وسُنة الخلفاء الراشدين.

سُنته معناها: طريقته التي كان عليها -ﷺ-، وذلك يشمل جميع الأمور، سواءً كانت اعتقادات، أو كانت أقوال، أو أعمال للنبي -ﷺ-، كذلك الخلفاء.

وقد جاء في أحاديث أخر: الوصية بالتمسك بالكتاب والسُنة، كما جاء في قوله -ﷺ-: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي».

وكذلك جاء في حديث الافتراق، حيث أخبر النبي -ﷺ- أن الفرقة الناجية هي التي، كما قال النبي -ﷺ-: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، لما ذكر: «أن هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فرقة كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةً، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، وفي لفظٍ قال: «الْجَمَاعَةُ».

فالذي يريد النجاة من الفِتن، والتي يريد النجاة يوم القيامة، فعليه أن يتمسك بما كان عليه النبي -ﷺ- وأصحابه، ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وأوصانا أيضًا باتباع «**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»، وهم الخلفاء الأربعة المعروفون: "أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -رضي الله عنهم وأرضاهم-" ووصفهم بأنهم راشدون؛ لأنهم قاموا بالرُشد، والرشد هو العلم بالحق والعمل به، ووصفهم أيضًا بأنهم مهديون وذلك؛ لأن الله تبارك وتعالى هداهم للحق، وإلى العمل به.

والنبي -ﷺ- لم يقل: عليكم بسُنتي فقط، بل زاد وأكد ذلك فقال: «**وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، عضوا على سُنتي وعلى سُنة الخفاء الراشدين بالنواجذ، والنواجذ هي الأضراس، والإنسان إذا أراد أن يُحكم عض شيءٍ ما، فإنه يعضه بأضراسه؛ لأنها أقوى الأسنان.

فكذلك ينبغي علينا أن نتمسك بالسُنة، وبأن نعض عليها، كما قال: بنواجذنا، خاصةً في زمن الفتن، في زمن اختلاف الناس، النجاة هي إتباع سلفنا الصالح، النبي -ﷺ- والقرون الثلاثة المفضلة، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومنا هذا.

والآن نسمع بعض الدعوات، وبعض أهل البدع يعني يريدون تزييد الناس في هذا، يريدون أن يفهموا هذا الدين كما يحبون، يريدون إدخال البدع، يريدون إدخال المحدثات في دين الله تبارك وتعالى، يريدون تمييع هذا الدين، فيقول لك: هم رجالٌ ونحن رجال، يعني الصحابة رجال، وأئمة الإسلام رجال، ونحن رجال، كما هم لهم عقول، نحن أيضًا لنا عقول، فلِمَ نقدم كلامهم وفهمهم على كلامنا وفهمنا.

انظروا إلى هذا التلبيس، وإلى هذه المخالفة الصريحة لهذه النصوص، فالإنسان العاقل يدرك أن الصحابة –رضوان الله عليهم- عاصروا التنزيل، كان يعني الوحي ينزل وهم متوافرون، وهم مع النبي –ﷺ-، كان الوحي يأتي وينزل على النبي –ﷺ-، وكان تقع منه أمور فينزل الوحي بتصحيحها، وكان النبي–ﷺ- يصحح لهم بعض الأفهام: أتدرون من المفلس؟ كذا، يعني كان النبي –ﷺ- يصحح لهم بعض الأمور، وكان يُبين لهم الأمور.

فهم أعلم الناس، وأفهم الناس لسُنة النبي –ﷺ-، فكيف يترك الواحد منا فهم هؤلاء، ويأخذ بفهمه الذي ربما لو فتشت عنه، تجده لا يفهم حتى العربية فهما سليمًا، فكيف به بأن يفهم كلام الله، أو كلام النبي –ﷺ-.

ثم حذرنا النبي –ﷺ- من المحدثات، فقال: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

البدعة مرت معنا في حديث عائشة، وهي كل ما أُحدث في الدين مما لا أصل له يدل عليه.

أن تتعبد إلى الله بقولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ، ليس لك عليه دليل، شيء مُحدث، هذا معنى البدعة، ووصف النبي –ﷺ- كل البدع بأنها ضلالة، قال: «**وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، لم يستثني شيئًا النبي –ﷺ-.

تجد بعض الناس الآن يستحسنون بعض الأمور بدعوى أنه ما فيها شيء، أنا أسبح فقط، أو أنا ادعوا الله فقط، لكن حقيقة فعله هذا أنه بدعة، البدعة قسمان، كما تعلمون -حفظكم الله-:

1. بدعٌ حقيقية.
2. بدعٌ إضافية.

البدع الحقيقة: هي الفعل الذي يتعبد به المرء، ولا دليل عليه أصلًا، كما يفعل الصوفية الآن يتعبدون إلى الله بالغناء والرقص، تجدون يتعبدون الله بهذه الأمور، وهذه بدعة حقيقية، وتوجد أيضًا أنواع أخرى للبدع الحقيقية.

البدع الإضافية: قد يكون عليها دليلٌ عام فقط، لكن تخصيص هذا الفعل، بعض الناس يخصصون بعض الأفعال بزمنٍ، أو يخصصونهم بأماكن، أو يخصصونهم بهيئات إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه لاحقًا إن شاء الله، فهذا التخصيص لمثل هذه الأفعال[5] بهيئاتٍ، أو بأماكن، أو بأزمنة، هذا أيضًا من البدع، لماذا؟ لأنك لو فتشت عليه لوجدت النبي –ﷺ- لم يفعله.

مثاله: بعض الناس بعد تجشئه، بعد أن يتجشأ يحمد الله،

نأتي ونقول له يا أخي هذا الفعل لم يفعله النبي –ﷺ- ولا فعله الصحابة،

النبي –ﷺ- كان يتجشأ ولم يكن يحمد الله، بينما كان يعطس ويحمد الله،

[5] جاء في الصوتية بدع وهو سبق لسان والصواب الأفعال

فسيقول لك: أنا أحمد الله، لا أقول شيئًا سيئًا، أنا أحمد الله فقط !

نقول له: تخصيصك لحمد بعد هذا الفعل يحتاج إلى دليل، لماذا؟

لأن النبي –ﷺ- هو من نقل لنا هذا لدين، هو الذي يُبين ما يفعل وما لا يفعل، ولم يحمد الله بعد التجشؤ، مع أنه كان بإمكانه هذا،

فنقول له: فِعلك هذا من البدع الإضافية،

كذلك كثير من الأمور التي قد يفعلها الإنسان، سنترك الكلام عنها إلى وقتها إن شاء الله.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما نقول، وأن يوفقنا للعلم النافع، وللعمل الصالح، وأن يجنبنا الفتن، ويجنبنا مُحدثات الأمور، وأن يوفقنا لاتباع سُنة النبي –ﷺ- بفهم سلفنا الصالح –رضوان الله عليهم-، والله أعلم،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،

أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الثالث عشر من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (13) التاريخ: السبت 1440/06/04 هـ 09/شباط/2019 م

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فدرسنا اليوم هو **الدرس الثالث عشر** من دروس شرح الأربعين النووية، للحافظ أبي زكريا يحيي بن شرف النووي –رحمه الله-.

الحديث التاسع والعشرون

(المتن)

قال –رحمه الله-: «**عَنْ مُعَاذٍ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:16]، حتى بلغ قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:17]، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سبيل الله. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(الشرح)

هذا الحديث حديثٌ عظيم، فيه إرشادٌ إلى ما به نجاة المرء في الدنيا والآخرة، وفيه إرشادٌ إلى جملة من أعمال الخير، التي ينبغي على طالب النجاة فعلها وتعاهدها.

سأل معاذٌ –رضي الله عنه-النبيَّ –ﷺ-، عن عملٍ يُدخله الجنة ويباعده عن النار، وهذا من حرصه –رضي الله عنه-، حرصه على الخير، وعلى الجنة، وعلى البُعد عن النار، وقد مرت معنا أحاديث أخرى، تُبين

حِرص الصحابة على هذا الأمر، فكان هذا ديدنهم –رضي الله عنهم وأرضاهم- طلب الجنة، والبعد عن النار.

فأجابه النبي –ﷺ- بجوابٍ، وقال له: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْه »، يعني أن هذا العمل الذي سألت عنه عملٌ عظيم، لكنه يسيرٌ وسهلٌ على من سهله الله له، لذلك ينبغي على الإنسان أن يُكثر من الدعاء "دعاء الله تبارك وتعالى، الإعانة والتوفيق في القول والعمل".

أول ما بدأ به النبي –ﷺ- من الأعمال: هي أركان الإسلام الخمس؛ لأنها ما يقوم به إسلام المرء؛ فالمرء إذا أراد الجنة عليه أولًا أن يحرص على فعل أركان الإسلام الخمسة، فلا يترك ركنًا يمكنه فعله إلا قام به، فلنضرب مثلًا: الصلاة، لا يترك الإنسان الصلاة، ثم يريد بعد ذلك فِعل شيء آخر من أوجه الخير، تجده ربما تاركًا للصلاة، لكنه يتصدق، ونقصد بالصدقة هنا هي صدقة المال المستحبة، يعني هذا لا يصلح، المرء الذي نيته صادقة في فعل الخير وفي الجنة، يحرص أولًا على أداء أركان الإسلام الخمسة.

والنبي –ﷺ- بدل أن يذكر الشهادتين قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». وهذا تفسير لشهادة أن لا إله إلا الله.

فالإنسان الذي يريد الجنة، ويريد البُعد عن النار عليه أن يوحد الله تبارك وتعالى، وأن يخلص عباداته كلها لله، وأن يستحضر هذا الإخلاص في كل عملٍ يُريد التقرب به إلى الله، هذا هو الأساس، وهذا هو أحد شروط قبول العمل.

ثم يَفعل باقي الأمور التي جاء ذُكرها في هذا الحديث، وأعظم شيء بعد التوحيد هو إقامة الصلاة، وقد تكلمنا عن الأركان الخمسة، بما فيه كفاية في الأحاديث التي سبقت.

ثم بعد ذِكر الأركان، قال له النبي –ﷺ-: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟». يعني أدلك على أبواب الخير الأخرى، التي ينبغي الحرص عليها لمن أراد الجنة، والبعد عن النار؟ أول شيء أرشده إليه النبي –ﷺ- هو الصوم، فقال له: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»، ويريد بالصوم هنا **صيام التطوع** لا صيام الفرض؛ لأن صيام الفرض سبق في صوم رمضان.

ووصف الصوم بأنه **جُنة**: أي أنه **وقايةٌ** للصائم من النار، وسترٌ له من المعاصي حينما يكون صائمًا، يعني الصائم تَطيَّب نفسه، ومجاري الدم في الإنسان تضيق، والشيطان لا يتمكن من الإنسان في حال صيامه، كما يتمكن منه في حال إفطاره، لذلك تجد أن النبي –ﷺ-، أرشد من لا يستطيع الزواج، أرشده إلى الصوم، وقال: «فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»؛ لأن الإنسان في حال الصيام تجد نفسه طيبة، والشيطان، كما قلنا لا يتمكن منه، كما يتمكن منه حال الإفطار.

<u>**الباب الثاني**</u>: الذي أرشد إليه النبي –ﷺ-، من أبواب الخير هو: الصدقة، الصدقة مر معنا في

الأحاديث عن السابقة، أنها ليست مخصوصة في صدقة المال، بل تدخل فيها جميع الأمور أمور البر، وأمور: كالتسبيح والتهليل، والأذكار، وجميع الأمور: إفشاء السلام أو غيرها التي جاءت معنا في الأحاديث السابقة، وهي المرادة هنا، ليس المراد بها فقط صدقة المال، تدخل فيها صدقة المال، لكن ليست هي المرادة بخصوصها.

ووصفها بأنها «تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»، وهذا وصفٌ بليغٌ منه –ﷺ-، لما للصدقة من تأثيرٍ في تكفير السيئات، والإنسان إذا أخطأ وارتكب محرمًا، وأراد أن يمحو هذا الفعل من صحيفته، أو هذه السيئة من صحيفته، فعليه بفِعل الصدقات، وقد تكلمنا عن هذا الأمر في حديث: «اتّقِ اللّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السّيّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا»، وتكلمنا أيضًا عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود:114]

الإنسان إذا عمل محرماً، هو دون الكبائر لا يحتاج إلى توبة، فإذا أراد أن يمحوه فعليه أن يُتبعه بالحسنات، أو بالصدقات؛ حتى يُمحى، أما إذا ارتكب الكبائر فلابد من التوبة معها.

الباب الثالث من أبواب الخير: الذي ذكره النبي –ﷺ- في حديثنا هذا، هو صلاة الليل، صلاة الإنسان في الليل، كل صلاة تؤدى في الليل فهي تعتبر قيام ليلٍ، وأفضلها أن يقوم الإنسان في الثُلث الأخير من الليل، وهو وقت نزول الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، وقد جاء في الحديث: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخر نزلُ اللَّهُ سبحانه وتعالى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ»، فإذا وافق هذا أن يكون المرء قائمًا يصلي، فيكون أحرى بالإجابة. وقد ثبت، أو قد جاء عن نبي الله داود -عليه السلام-: «كانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ»، يعني الثلث الذي بعد النصف، وينام السدس الباقي إلى الفجر، فينبغي على الإنسان أن يحرص على هذا الخير العظيم، وألا يفرط فيه، وأن يكون له شيءٌ من قيام الليل ولو ركعتين يركعهما، وإذا رأى من نفسه أنه لا يتمكن الاستيقاظ قُبيل الفجر أو في الثلث الأخير فليصل متى استطاع، ولو بعد العشاء، بعد راتبة العشاء يضيف ركعتين يصليهما لله، فيكون هذا خيرًا له، وفيه فضلٌ كبيرٌ إن شاء الله.

ثم قال –ﷺ-: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِوَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟». الأمر الذي يقصده هنا: هو الدين، «بِرَأْسِ الْأَمْرِ» يعني رأس الدين الذي هو الإسلام، فإذا قُطع الرأس فلا حياة، الجسد إذا قطع رأسه فلا حياة.

وعمودهُ هو ما يقوم عليه، يعني البناء يقوم على أعمدة، وهذا الأمر يقوم على عمود وهو الصلاة، «وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ» قال هو: «الْجِهَادُ في سبيل الله». السنام هو ما علا من ظهر البعير، البعير لها شيء صاعد على ظهرها، هذا الشيء هو السَّنام، وذروته أعلاه، ذروته هي أعلى هذه الحدبة التي على ظهر

البعير.

كانت ذروة سنام الدين: الجهاد؛ لأن به انتشار الدين، يعني الدين الإسلامي كما أنه انتشر بأمور كالتجارة، والأخلاق الحميدة، وغير ذلك، لكن أكثر ما انتشر به الدين هو الجهاد في سبيل الله عز وجل، وبه -أي بالجهاد- يعلو المسلمون على الكفار، ويظهر الدين، الدين يكون ظاهرًا بالجهاد.

ثم قال له النبي –ﷺ-: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»: أي بما به ملاك الأمر؟ وأرشد النبي –ﷺ- معاذ إلى حِفظ اللسان، فقال له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ»، النبي –ﷺ- أخذ بلسانه، وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»: أي لا تطلقه، ولا تتكلم بأي شيء، فاستفسر معاذٌ من النبي –ﷺ-، وقال له: «وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟»، فَقَالَ له النبي –ﷺ-: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ»: أي فقدتك حتى كانت ثُكلى من فقدك، وهذه عبارةُ معناه غير مقصود، وإنما يراد بها الحث والإغراء على فهم ما يقال.

فقال له: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ»، والشك هنا من الراوي الذي روى الحديث، قال: «إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»، يعني هل يُكب الناس في النار، إلا ما يحصدونه من ألسنتهم؟ ومعناه أن اللسان هو أعظم الجوارح جُرمًا، وأكثر أعضاء الإنسان اكتسابًا للخطايا، لماذا؟ لأنه سهل الحركة، وسريع الحركة، والإنسان الذي يتكلم كثيرًا، ويتكلم بما لا ينفع؛ فإنه يرتكب من الإثم بقدر ما لغى، وجاء في الحديث: «أن الإنسان أو المرء قد يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا فيَهْوِي بِهَا فِي النار سبعين خريفًا»، وانظر إلى عِظم جُرم اللسان، وعِظم البلاء الذي يجنيه الإنسان جراء كلامه، لماذا؟ لأن الإنسان قد يكفر بسبب كلامه، يعني يخرج من الإسلام بسبب كلامه، كذلك قد يرتكب الموبقات بسبب كلامه، قد يقذف إنسانًا، قد يدعو امرأةً إلى الزنا بسبب لسانه، قد يتكلم في عِرض إخوانه، وقد –مثلاً- يمشي بالنميمة بين الناس، وهذا بلسانه، قد يشتم الناس، البلايا التي تأتي وراء اللسان، أو بفِعل اللسان كثيرة، وهذا لمن لا يضبط كلامه. قد مرَّ معنا هذه العبارة، قلنا: أن الكلمة إذا حبسها الإنسان فقد ملكها، أما إذا تكلم بها فقد ملكته، يعني أن الإنسان مادام لم يتكلم فهو في خير، لكن إذا تكلم وألقى كلمةً فهي التي تملكه، لذلك ينبغي على الإنسان أن يفكر مليًا، وأن لا يلقي الكلام هكذا على عواهنه، سواءً كان الكلام في أمور لدين، أو كان الكلام في أمور الدنيا، أو كان الكلام في أعراض الناس، قد تجد الكثير منا يتورع في المحرمات، تجده لا يأكل الربا، لا يزني، لا يسرق، تجده لا يشرب الخمر، لا يقذف الناس، لا يأكل أموال الناس بالباطل، تجده يتورع ولا يفعل الكثير من المحرمات، لكن إذا جاء الأمر إلى اللسان، فتجده يطلق لسانه في أعراض إخوانه، ربما يمشي بين الناس بالنميمة إلى غير ذلك.

نسأل الله عز وجل أن يهدينا لأحسن الخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو سبحانه وتعالى.

الحديث الثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي –رحمه الله-: **عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحرَّمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَفي السنن وفي غَيْرُهُ.**

(الشرح)

هذا الحديث حديثٌ ضعيف، ضعفه ابن رجب –رحمه الله- في شرح الأربعين، وكذا الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني –رحمه الله-، لكن معناهُ يشهد له ما مضى من أحاديث. فيه تقسيم الدين إلى فرضٍ لابد من فعله، وطبعًا عندما نقول لابد من فعله، أن فعله منوط بالاستطاعة.

وقسمه أيضًا: إلى حرامٍ يجب اجتنابه والبعد عنه، وقسمه أيضًا إلى حدودٍ حدها الله لنا، ويقصد بها الواجبات، والمستحبات، والمباحات [6]، يجب الوقوف عندها وفعلها، كما تقتضيه الشريعة.

القسم الرابع: الأمور التي سكت عنها ولم يبينها، أي هذه لم يأتِ فيها لا تحريم، ولا تحليل، فهذه عفوٌ لا يُسأل عنها، ولا ينبغي السؤال عنها، وقد جاء في قصة الصحابي، الذي سأل النبي –ﷺ- عن الحج: «أيجب الحج كل عام؟ فقال له النبي –ﷺ-: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»، وقد سبق الكلام عن هذا، يعني كثرة السؤال وغيره، في الأحاديث السابقة، فلا داعي إلى إعادتها.

الحديث الحادي والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي –رحمه الله-: **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ». حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ .**

[6] المباحات غير داخلة في حدود الله.

(الشرح)

لكن الصحيح أنه ضعيف، كما بيَّنه ابن رجب أيضًا في شرح الأربعين، ونقل كلام أئمة الحديث فيه وأنه ضعيف، وكذا ضعفه ابن حجر رحم الله الجميع.

ومعناه: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا» أي اترك ما يشغلك عن الله، وما لا ينفعك في الآخرة، فإن هذا يزيد من همتك في طلب رضا الله، وفي الازدياد من الأعمال التي تنفعك القيامة.

يعني إذا ترك الإنسان، ما يشغله عن الله تبارك وتعالى، وما لا ينفعه في الآخرة، فإن تركه لهذه الأمور يزيد في همته في طلب رضا الله سبحانه وتعالى، وفي فعل الأمور التي تقرب من الله، وتنفع يوم القيامة.

وكذلك معنى: «وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ»؛ يعني أترك طلب الأشياء من الناس، واترك ما معهم من ملذات الدنيا وحطامها، ولا تدع نفسك تتشوف لها، وتتشوق إليها، وتستشرفها، حتى إذا كنت محتاجاً إليها، فلا تدع نفسك، تتلهف إلى هذه الأمور التي عند الناس، فإذا فعلت ذلك أحبك الناس، لماذا؟ لأن الناس من عادتها أنها لا تحب من يسألها حاجاتها، وينفرون ممن طبعه أنه يسألهم دائمًا، ويطلب منهم الأشياء، وفي نفس الوقت الناس تحب أن الرجل الذي لا يسأل، تحب من هو عفيف، ولا يسأل الناس ما عندهم من أمور.

حتى وإن كان هذا الحديث ضعيف، فهذا المعنى هو الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان، الإنسان ينبغي أن يوطن نفسه، أن يسأل ما يريده من الله سبحانه وتعالى، صل بالليل ركعتين، أطل السجود، وأسأل الله تبارك وتعالى، ما تريده من أمور هذه الدنيا، ولا تدع نفسك تغلبك، وتسأل الناس، يعني خصوصًا إذا كان الإنسان من طلاب العلم، لا يبغي له أن يكون هذا ديدنه، يعني يتحجج بأنه متفرغ لطلب العلم، وفي نفس الوقت تجده يسأل الناس، يسألهم كل شيء، هذا لا ينبغي، وينبغي على الإنسان أن يترك هذه الأمور، كما جاء هنا: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو سبحانه وتعالى، نسأله سبحانه وأن ينفعنا بما نقول، وأن يحسن خاتمتنا، وأن يزهدنا في هذه الدنيا وفي حطامها، وأن يحبب إلينا الأعمال والأقوال التي تُقرب منه سبحانه وتعالى، وترضيه سبحانه وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الرابع عشر من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (14) التاريخ: السبت 1440/06/11 هـ 16/شباط/2019 م

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فدرسنا الليلة إن شاء الله هو الدرس الرابع عشر، من دروس شهر الأربعين النووية، للحافظ أبي زكريا يحيي بن شرف النووي –رحمه الله-.

الحديث الثاني والثلاثون

(المتن)

قال –رحمه الله-: **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».**

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَالدَّارَقُطْنِيّ، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّإِ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

(الشرح)

الحديث حسنٌ كما قال النووي –رحمه الله- بمجموع طُرقه، وقد سبقه إلى تحسينه الحافظ بن الصلاح –رحمه الله-، ونقل أن جماهير أهل العلم على قبوله والاحتجاج به.

اختلف العلماء في معنى: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»، والذي عليه المحققون من أهل العلم كابن عبد البر، وابن الصلاح، وغيرهم.. أن:

- **الضرر هو إيصال الأذى للغير بما فيه منفعةٌ للموصل.**
- **والضِّرار هو إيصال الأذى للغير، بما ليس لموصلِ الأذى نفعٌ فيه.**

وهذا هو أولى الأقوال بالصواب.

يُستفاد من الحديث: تحريم إيصال الأذى للغير بغير حق، بغير حقٍ ولا جنايةٍ سابقة، حتى وإن حصل لك من أخيك أذى، فالأولى لك أن تعفو عنه وتصفح ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:40].

الله سبحانه وتعالى أباح للمرء أن يقابل إساءة من أساء إليه بمثلها، مثل أن يشتمك شخصٌ فتشتمه، يعني أباح لك ذلك، لكن أخبر سبحانه أن العفو أفضل، كما في قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[الشورى:40]، فالعفو أفضل، والله سبحانه وتعالى يجازي العافين المصلحين يوم القيامة.

وهذا الحديث: أصل عظيمٌ في باب رفع الضرر، وأن الضَرر يُزال ولا يترك.

ومن صور الضِرار، وهو كما سبق تعريفه، إيصال الأذى للغير من غير أن ينتفع بذلك الموصل، أو المؤذي، يعني أن يشتم الإنسان، أو أن يسب غيره بلا سبب، أو أن يحفر حفرةً في طريق الناس، وهي لا تنفعه في شيء، أو مثلًا أن يكون بجانب بيته ممرٌ للناس، فيسده من غير أن يكون في سداده، أو في غلقه منفعةٌ له، أو مثلًا أن يشعل نارًا في بيته، فيؤذي بذلك الجيران، وليس له في إشعالها منفعة.

هذا من صور الضِرار، وهو إيصال الأذى للغير، من غير أن يكون للموصل، أو للمؤذي منفعةٌ فيه.

وهناك تنبيه في مسألة الضرر: فالضرر كما سبق أن عرفناه، هو إيصال الأذى للغير، ويكون لموصل الأذى نفعٌ فيه، أنه قد يكون هذا الإيصال قد يكون معتادًا، أو غير معتاد.

- مثال غير المعتاد:

أن يؤجج المرء في أرضه نارًا، في يومٍ عاصف، فتحرق زرعه وزرع الشخص الذي تكون مزرعته بجانب مزرعة هذا الإنسان، فهذا الإنسان الذي ألهب النار في مزرعته، ممكن أن يكون له منفعة في ذلك، كأن يكون عنده فيها شوك، أو أشجار ضارة يريد حرقها، لكن إشعالها في مثل هذا الوقت، في يومٍ عاصف، حتمًا كان سيؤدي إلى مفسدة في مُلك جاره، فهذا الأذى غير معتاد، وهو بذلك قد تعدى على مُلك غيره، ويلزمه الضمان على ذلك.

- وأما مثال إيصال الأذى للغير على وجهٍ معتاد: مع وجود مصلحة لهذا الإنسان فيه.

أن يفتح إنسان نافذة في بناءه، ويريد أن يفتح نافذة في بيته، هذا أمر معتاد، لكن هذه النافذة قد تطل على فناء جاره، فيتأذى بذلك، ويحصل له أذى لأن هذا الإنسان قد يطل على محارمه، وهم في الفناء.

<u>**في هذا الحال: العلماء لهم قولان في هذه المسألة:**</u>

القول الأول: وهو المنع، يعني أنه لا يجوز له، إحداث مثل هذا الأذى، وإن كان معتادًا، فالقول الأول هو قول الإمام أحمد، ووافقه على ذلك الإمام مالك في بعض الصور، وقالوا بالمنع.

القول الثاني: هو قول الشافعي، وأبي حنيفة –رحمهم الله-، وأنه لا يمنع من هذا.

والقول الأول أصح.

هذا الحديث، كما قلنا هو أصلٌ عظيم في هذا الباب "باب إيصال الأذى"، والعلماء يذكرون في شروحه، تفصيلات وتفريعات كثيرة، فمن شاء مراجعة المزيد في هذا الحديث، إما يراجع شروح العلماء فيه، فإنهم يذكرون مسائل كثيرة تندرج تحته، وإما أن يراجع شرح قاعدة "الضرر يُزال"، فهي أيضًا مبنيةٌ عليه ، ننتقل للحديث الذي بعد.

الحديث الثالث والثلاثون

(المتن)

قال النووي –رحمه الله-: **عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي السنن، وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.**

(الشرح)

رواية الصحيحين فيها، يعني في آخر الحديث: «ولكن اليمين على المدعى عليه»، ورواية البيهقي هذه أيضًا صالحة للاحتجاج، احتج بها الإمام أحمد وغيره وهذا الحديث أصل عظيمٌ من أصول القضايا والأحكام، ذلك أن القضاء يكون عند التنازع، وهذا الحديث بيَّن لنا النبي –ﷺ- فيه، ما يجب فعله إذا اختصم خصمان عند القاضي مثلًا.

يُبين هذا الحديث: أنه إذا اختصم خصمان، فيدعي أحدهما أن له حقًا عند الآخر، وهذا الآخر ينكر أن للأول حقًا، فبيَّن النبي –ﷺ- في هذه الحالة ماذا نقول؛ نقول: أن الأصل مع المنكر، وأن المدعي لابد أن يأتي ببينة، تثبت هذا الحق المدعى، فإن أتى ببينةٍ تثبت أن له هذا الحق، فله ذلك، وإلا فليس له شيء، لكن يكون المنكر لابد عليه من اليمين.

والحال الثانية من الحالات التي ينطبق عليها هذا: أن أحد المتخاصمين قد يدعي براءته من حقٍ ما، مثل أن يدعي إنسان براءته من دينٍ اتجاه شخصٍ آخر، والشخص الثاني أو خصمه يقول أنه لم يستوف ماله هذا،

فالذي يجب في هذه الحالة، أن نقول: لمن ادعى الوفاء أنه يلزمه الوفاء، إن لم يأت ببينة، لكن إن أتى ببينةٍ تثبت أنه قد وفى دينه، تبرأ ذمته بذلك، وإلا فالأصل عدم الوفاء،

ونقول لمن يدعي أنه لم يستوف ماله، نقول له: عليك باليمين، يعني عليك أن تحلف أن لم تستوف حقك.

فالحديث حديثٌ عظيم، ومهم جدًا وخاصةٌ في باب القضاء، والله اعلم.

الحديث الرابع والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي –رحمه الله-: **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:** «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». **رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**

(الشرح)

هذا الحديث حديثٌ عظيم لمن تأمله، وعَلِمَ مسائله، ذلك؛ لأنه يتعلق بأمرٍ يُعد من أسباب خيرية هذه الأمة، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:110]

انظر أخي علمني الله وإياك، كيف بدأ الله تعالى بذكر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر قبل الإيمان، مع أن الإيمان شرطٌ في صحة أي عبادة، لكن لما كان وقع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كبيرًا على المجتمع، وأمرٌ لابد منه لصلاحه وعدم هلاكه، بدأ الله به قبل الإيمان، يعني حين ذكر أسبابَ خيريةِ هذه الأمة.

وكذلك بدأ الله به قبل ذِكر الصلاة والزكاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71].

ففي هذه الآية: الدلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أخلاق المؤمنين، وصفاتهم الواجبة، التي لا يجوز لهم التخلي عنها، وذلك لماذا؟ لأن تركه وعدم القيام به، سببٌ لغضب الله تبارك وتعالى، وسببٌ أيضًا للعنه، وهو أيضًا من أسباب تسليط العذاب على الأمم كما جاء في قول الله عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ(78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(79)﴾ [المائدة78-79].

والنصوص في بيان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة، لا يمكن ذكرها الآن، من بين هذه النصوص حديثنا هذا، ويُبين فيه النبي –ﷺ- مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقبل ذِكر المراتب، نستفيد من الحديث: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه واجبٌ كفائي إذا قام به البعض، سقط عن الباقيين، هذا هو حكمه أنه واجبٌ كفائي، فإن كان ثمَّ جماعة مثلًا، ورأوا منكرًا ما، فإن أنكره واحدٌ منهم أو اثنان، لم يلزم البقية أن ينكروه؛ لأن إنكاره حصر بفعل الواحد أو الاثنين منهم.

وهكذا الأمور التي تقع في الأمة، إن أنكرها بعض العلماء لم يلزم البقية إنكارها، أو الكلام فيها؛ لأن الواجب سقط عنهم بقيام البعض به، وهذا أمثلته كثيرة اليوم، تجد العلماء مثلًا يتكلم بعضهم في بعض المنكرات التي تحصل، ويكتفي الآخرون بالموافقة، فلا يدخل عليكم –حفظكم الله- أهل البدع، وأهل الفتنة من هذا الباب، بدعوى مثلًا أن العلماء لا يقومون بدورهم، وأنهم لا ينكرون المنكر، وأنهم ساكتون إلا القليل منهم.

إنكار المنكر والأمر بالمعروف من فروض الكفايات، قد نص غير واحدٍ من أهل العلم على ذلك، فإن لم يقم بهذا الفرض أحدٌ، لم يقم أحدٌ بإنكار المنكر، أو بالأمر بالمعروف، وجب حينئذٍ على الجميع القيام به، ويتعين على جميع الناس.

المسألة الثانية التي نستفيدها من هذا الحديث، أو التي لابد من ذكرها في هذا الحديث: هي ضابط المنكر، ما هو ضابط المنكر الذي يجب إنكاره؟ المنكر هو كل ما أنكره الشرع، وهو كل ما حرمه الله ورسوله.

<u>لكن هناك تنبيهان:</u>

- **التنبيه الأول**: وهو أنه لابد من التحقق من أن ما نريد إنكاره منكر، فإن كان عندنا شكٌّ، أو عدم علمٍ، فلابد من الإحجام؛ حتى نتأكد من حُرمة ما نريد إنكاره، ثم إن كان هذا الأمر من الأمور الخلافية، التي الخلاف فيها ليس ضعيفًا، فهنا نقول: لا وجه للإنكار؛ لأن القاعدة عند العلماء، أنه لا إنكار في المسائل شديدة الخلاف.

نعم؛ المسائل التي فيها خلافٌ ضعيف هذه تنكر، ويعنف فيها على مرتكبها، أما المسائل شديدة الخلاف، وكذلك المسائل الاجتهادية، فهذه لا إنكار فيها،

وهذا الأمر يَكثر فيه التخبط والخلط في زماننا، والناس لم تضبط بعض ما يجب فيه الإنكار، مما لا مجال للإنكار فيه، المسائل الاجتهادية والمسائل شديدة الخلاف، لا إنكار فيها، إنما يناقش صاحبها، ويُبين له فيها وجه رجحان القول الذي أخذه وعمل به.

- **التنبيه الثاني**: في مسألة المنكر، وهو أنه قبل الإنكار، لابد من التحقق أن هذا الفعل منكرٌ في حق هذا الفاعل؛ لأن الفِعل قد يكون مُنكرًا بالنسبة لزيدٍ، وجائزًا بالنسبة لعمرو،

مثل الأكل والشرب في رمضان، هو ليس مُنكرًا بالنسبة لمن له عذرٌ شرعي، كالمريض مثلًا، وكذلك ترك الصلاة، مُنكرٌ عظيم، لكنه بالنسبة للحائض والنفساء ليس بمنكر، بل يجب عليهم ترك الصلاة في تلك الحالة.

ولهذا ينبغي على طالب العلم: أن استحضار مثل هذه الأمور، وعدم الانسياق وراء العواطف، التي ليست مبنيةً على علم، وهذا يُعيدنا دائمًا إلى التذكير بوجوب طلب العلم، وبفضل العلم؛ لأنه بدونه الإنسان لا يعرف أولًا المنكر، ولا يعرف أيضًا تفاصيل الأمور وأحكامها.

<u>المسألة التي نريد التنبيه عليها أيضًا، من مسائل هذا الحديث:</u>

وهي أن إنكار المنكر درجات،

- فأعلاها أن يُغير الإنسان المنكر بيده،

وهذا يكون لمن له ولاية وسُلطة، كالحاكم ونوابه في البلاد، وكالرجل في أهل بيته على زوجته وأولاده، وكرب العمل في عمله.

- تليه المرتبة التي بعدها: وهي الإنكار باللسان،

وهذا يكون لمن ليس له سُلطةٌ على مرتكبي المنكر، فيكتفي بإنكاره بلسانه، وبالتذكير بالموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن وفي حُكم الإنكار باللسان الإنكار بالكتابة، لمن له الأهلية لذلك، يكتب في الصحف في المجلات مثلًا في إنكار المنكر، ويؤلف رسائل ويوزعها، إلى غير ذلك.

- فإن لم يستطع المرء لا هذا ولا ذاك، وجب عليه الإنكار بقلبه،

بأن يكون كارهًا لهذا المنكر، غير راضٍ به.

لكن لا يحتج الإنسان بمثل هذا، وهو يجلس مع أصحاب المنكر، ثم يقول أنا أنكر بقلبي، البعض تجده جالسًا في وسط المنكر، مع أصحاب المعاصي والمنكرات، وإذا أنكرت عليه، يقول لك: كلمتهم، لكنهم لم يتركوا منكرهم، ولم يصغوا إليَّ.

لكن نقول له: يجب عليك مفارقتهم، وعدم الجلوس معهم، وأن هذا من إنكار المنكر وعدم الرضا به، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:140].

قال القرطبي –رحمه الله-، في تفسير هذه الآية، فقال: (فدلَّ هذا على وجوب سناب أصحاب المعاصي، إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم)، وقال بعدها: (وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا

بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم؛ حتى لا يكون من أهل هذه الآية)، انتهى كلامه.

وقال الشيخ ابن باز –رحمه الله-: (الإنكار بالقلب فرضٌ على كل واحدٍ، وهو بُغض المنكر وكراهيته، ومفارقة أهله عند العبد عن إنكاره باليد واللسان)،

وفي الحديث مسائل أخرى كثيرة، قد ذكرنا شيئًا منها، وما تبقى قد يأتي معكم في كتبٍ أخرى، في مستويات أخرى إن شاء الله.

وفق الله الجميع لما تحب ويرضى، وجعلنا الله من الذين يقومون بأمره ويحفظون حدوده، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا بالعمل بما نعلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

سبحانك اللهم بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،

أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الخامس عشر من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (15) التاريخ: السبت 1440/06/18 هـ 23/شباط/2019 م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فدرسنا الليلة إن شاء الله تعالى، هو الدرس الخامس عشر من دروس شرح "الأربعين النووية" للحافظ أبي زكريا يحيي بن شرف النووي -رحمه الله-.

الحديث الخامس والثلاثون

(المتن)

قال -رحمه الله- تعالى: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ؛ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»، رواه مسلم.**

(الشرح)

هذا الحديث أصلٌ في حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وما ينبغي أن يكون بين المسلمين من أخلاقٍ ومعاملة، نهى فيه النبي -ﷺ- عن جُملةٍ من مساوئ الأخلاق والمعاملات المحرمة التي قد تكون بين المسلمين.

بدأ فيه -ﷺ- بالنهي عن الحسد، فقال: «لَا تَحَاسَدُوا».

والحسد: من العلماء مَن فسَّره بتمني زوال النعمة عن الغير، ومنهم من قال: بل هو كراهية ما أنعم الله به على أخيك من نعمة سواءً تمنيت زوالها أم لا، يعني مجرد كراهية كون هذه النعمة أنعم الله بها على أخيك، فهذا يُعدُّ حسدًا، سواءٌ تمنيت أن تزول أم لم تتمن، هذا القول الثاني في تعريف الحسد.

فحقيقة الحسد: أنه اعتراضٌ على قضاء الله تبارك وتعالى وقدره؛ لأن المرء بتمني زوال النعمة أو

كراهيتها في حق فلانٍ من الناس، يعترض على قدرالله تبارك وتعالى، لذلك كان الحسد أمرًا خطيرًا، ومرضًا من أمراض القلوب، **وكان الواجب على المسلم**: تجنبه، ودعاء الله السلامة منه.

قد يعترض معترض، ويقول: أن النبي -ﷺ- قال: «لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»، فيستدل بهذا على جواز الحسد، فنقول له: الحسد هنا بمعنى الغِبطة، وهذا تجوُّزٌ في التعبير، والغِبطة هي تمني حال المغبوط من غير تمني زوال النعمة عنه، ومن غير تمني كراهية كون الله تبارك وتعالى أعطاه هذه النعمة، فهذا الفرق بين الغِبطة والحسد.

ثم قال -ﷺ-: **«وَلَا تَنَاجَشُوا»**،

التناجش معناه الزيادة في ثمن السلعة عند المناداة عليها، لكن لا بقصد الشراء، وإنما بقصد الإضراربالشاري، أو نفع البائع، فهذا هو التناجش، هو الزيادة في ثمن السلعة عند المناداة عليها، بقصد الإضرار بالشاري، أو نفع البائع، فقصد صاحبه يكون الخديعة والإضرار بالآخرين.

ويُطلق التناجش أيضًا على كل من أراد إبطال الشيء، يعني إبطال شيء أو معاملة ما بالمكر والخديعة، **وكل هذا محرم سواءٌ كان في البيوع أو في غيرها**.

ثم قال -ﷺ-: **«وَلَا تَبَاغَضُوا»**،

أي لا تتعاطوا أسباب البغضاء، سواءٌ كانت أقوالًا أو أفعالًا، نحن مأمورون بفعل الأسباب التي تزيد المحبة والألفة بيننا، لا العكس، إن علمت أن فعلًا من الأفعال قد يؤدي إلى التباغض بينك وبين أخيك، فلا تفعله، وأنت مأجورٌ بإذن الله؛ لأنك بتركك لهذا الفعل أنت ممتثلٌ لأمر النبي -ﷺ-، وأنت تفعل أسباب المودة والإخاء بينك وبين أخيك المسلم.

ونُنبِّه هنا إلى أننا: نتكلم عن البُغض على الأمور الدنيوية، أما البُغض الشرعي فهو واجبٌ، بل هو «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ»، كما قال النبي -ﷺ-.

المؤمن العاصي يُحب لما معه من توحيدٍ وطاعة، ويُبغض بقدر ما معه من معصيةٍ أو بدعة، هذا الواجب في حقه، كما أن الكافر يُبغض ولا يُحب، وعباد الله الخُلَّص المؤمنون كالأنبياء يُحبُّون ولا يُبغضون.

ثم قال النبي -ﷺ-: **«وَلَا تَدَابَرُوا»**،

أي لا تفعلوا الأشياء التي توجب التدابر والتهاجر بينكم، الهَجرُ إذا لم يكن لأسبابٍ شرعيةٍ فهو مُحرمٌ، كما قال النبي -ﷺ-: «لا يَحِلُّ لامرئ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ ذاك، وَخَيْرُهُمَا مَن يَبْدَأُ بِالسَّلامِ».

أما إن كان عن الهجرُ شرعيًا سواءٌ كان هجرًا وقائيًا أو هجرًا تأديبيًا، فهو مشروع، وأدلته في الشرع كثيرة، لكن الذي نلحظه في الناس اليوم أنهم أصبحوا يوالون ويُعادون على أمور الدنيا، الكثير منهم يُوالي ويُعادي على أمور الدنيا، على الحزب، على من يعطيهم المال، على من يحقق مصالحهم الدنيوية إلى آخره، ولا يرفعون رأسًا بما له علاقةٌ بالشرع إلا من رحم الله.

فلو قلت لهم: مثلًا فلانٌ رأسٌ من رؤوس الخوارج، يرى الخروج على الحاكم المسلم ويُكفِّر المسلمين، وصاحب شُبهات مثلًا فاحذروه وحذِّروا منه، فقد تجد القِلة هي التي تسمع لك، والكثرة لا يرفعون بكلامك رأسًا، لماذا؟ لماذا لا يرفعون رأسًا بكلامك؟ لأن لهم مصالح دنيوية مع هذا الشخص؛ لأن هذا الشخص يُعطيهم المال؛ لأن هذا الشخص يحقق لهم بعض الأمور، أو بعض المصالح الدنيوية، يعني وهذا حصل، يعني حصل من بعض من كان معدودًا من طلاب العلم، فقد احتضنتهم بعض الجمعيات الحزبية، وهي تدَّعي أنها جمعيات خيرية، تقوم على شؤون طلبة العلم، وتعطيهم المال، وتدعمهم، ولما تبيَّن أنهم جمعيات حزبية، وأنهم كانوا يُعينون بعض رؤوس أهل البِدع، أو بعض من عُرف بانحرافه، لم يستطع هؤلاء تركهم، ولا التحذير منهم، لماذا؟ لأنهم كانوا مربوطين بالمال وبالمصالح الدنيوية، بل أصبحوا يدافعون عن هؤلاء، أو عن المبتدعة الذين هم معهم في هذه الجمعية الحزبية، والله المستعان.

فالمهم: أن التهاجر مذمومٌ ومحرمٌ إذا كان لهوىً في النفس، أما الهجر الشرعي، فهذا كما قلنا قد يكون واجبًا، وقد يكون مستحبًا بحسب الحال.

ثم قال النبي -ﷺ- «**وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**»،

البيع هذه صورة هذا البيع المنهي عنه، يعني هو أن يتفق البائع والمشتري على سلعةٍ معينة، ويُحدد الثمن، ويحصل بينهما البيع ويتم العقد، فيأتي شخصٌ ثالث فيقول، يقول مثلًا للمشتري: افسخ العقد مع البائع وأنا أبيعك مثل هذه أنقص منها، أو يأتي إلى البائع مثلًا ويقول له: افسخ العقد مع المشتري، وأنا اشتريها منك بأكثر من ذلك، فهذا محرم، ولا يجوز.

وينبغي أن نُنبِّه هنا: إلى أن حالتنا هذه لابد فيها من أن يكون قد حصل بينهما تراضٍ، يعني قد تمَّ البيع، وأما قبل التراضي، وقبل أن يتم البيع فلا إشكال في المساومة، المساومة والمزايدة بين من يريد الشراء أو البيع لا حرج فيها، بشرط أن لا تكون من التناجش الذي مرّ معنا.

ثم قال -ﷺ-: «**وَكُونُوا عِبَادَ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**»،

أي لابد من أن يكون المسلمون يدًا واحدة، يسودهم الحب في الله، والأخوة الصادقة، والمعاشرة بالرفق واللين.

ثم قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ**»،

المسلم لا يجوز له أن يظلم أخاه، المسلم لا يظلم أخاه المسلم، وليس من أخلاقه هذا الظلم، كما جاء عن جابرٍ –رضي الله عنه-، عن النبي -ﷺ- إنه قال: «اتّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقد مرّ معنا في الحديث القدسي قول الله تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرّمًا فَلَا تَظَالَمُوا».

وليس من أخلاق المسلم خذلان أخيه، المسلم إذا استعان به أخوه أو استنصره فليس من أخلاقه أن يخذِّله، وهذا التخذيل نُعاني منه اليوم كثيرًا، يعني قد يصدع البعض بالحق، وبكلمة الحق، ولا يجد من يُناصره، بل البعض يخذِّل إخوانه عندما يجب عليه أن يقول كلمة الحق.

والمسلم كذلك لا يحقر أخاه، المسلم لا يتكبر على أخيه، ولا يستصغره، ويتواضع له، إن كان هذا المسلم غنيًّا، فمن أخلاق المسلمين التواضع، ولين الجانب للفقراء، وكذلك الكبير يرحم الصغير، فالعِبرة عندنا بالتقوى، لا بالمال ولا بالسِن، ولا غير ذلك، العِبرة بالتقوى، لذلك قال النبي -ﷺ-، يعني عقب هذا الكلام قال: «التَّقْوَى هَاهُنَا –وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ–» ، فالتقوى محلها القلب، والقلب إذا صلح صلح سائر الجسد، والعِبرة عند الله تبارك وتعالى بها، والتفاوت بين الناس في الدرجات في الجنة يكون بالتقوى والعمل الصالح، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:13]

ثم قال النبي -ﷺ-: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»،

وهذا المعنى قد مرّ معنا في الأحاديث السابقة، وهو يُبيّن أن: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» فلا يُسفك دمه بغير حقٍ، ويؤخذ ماله بغير حقٍ، ولا يُنال من عرضه بغير حق، وهذا مرّ معنا في الأحاديث السابقة، هذا ما يتعلق بهذا الحديث.

الحديث السادس والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي -رحمه الله-: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَة، ومَنْ يَسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَة، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَة، واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه مسلمٌ بهذا اللفظ.

(الشرح)

قال ابن دقيق العيد -رحمه الله-: (هذا الحديث عظيمٌ جامعٌ لأنواعٍ من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم، بما تيسر من علمٍ، أو مالٍ، أو معاونةٍ، أو إشارةٍ بمصلحةٍ، أو نصيحةٍ، أو غير ذلك)، انتهى كلامه رحمه الله-.

قوله -ﷺ-: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَة».

الكرب هو الشدة والضيق والضنك، قد تكون الكرب ماليةً، أو بدنيةً، أو غير ذلك.

قد تكون مالية: يعني يُصيب الإنسان الضيق والشدة والضنك، بسبب أمورٍ مالية، أو بسبب أمورٍ بدنية كمرض أو إعاقةٍ، أو غير ذلك..

فمن نفس عن أخيه كربةً، استحق بذلك أن يُنفس الله عنه كربةً وضيقًا يوم القيامة، ومعلوم لديكم -حفظكم الله- شدة الفرق بينهما، بين الكُربة في الدنيا، والكُربة في الآخرة.

الكُربة في الدنيا قد تكون دينًا يُثقل كاهل أخيك فتقضيه عنه، قد تكون أيضًا ظُلمًا، بعض الناس قد يظلم هذا الإنسان، فيعاني منه، ويتسبب له الضيق، والشدة، والضنك بسبب هذا الظلم، كأن يكون جارًا له، أو مسئولًا له في عمله، أو شخصًا مثلًا يمر عليه كل يوم؛ فيحصل له منه ظلم، فإن أعنت مثلًا هذا الإنسان بأن كلمت هذا الظالم، ورفعت عنه هذا الظلم، أو يعني كان مثلًا دين فقضيته عنه، أو مثلًا يعني كان يرُيد فقط يعني عنده مشاكل بينه وبين أهله، ولم يكن لديه من يستشيره، ويشير عليه بما ينفعه، وبما يصلح ما بينهما، فيكون في شدةٍ، وضيقٍ، وكربٍ بسبب ذلك، فتكلمه وتشير عليه بما ينفعه ويصلح بينهما، فتنفس عنه هذه الكربة.

قد يكون له مثلاً مشاكل نفسية فتكلمه مثلًا، يعني انظر إلى هذه السهولة، يعني التنفيس ليس من الشرط أن يكون بالمال، أو بالجاه، أو غير ذلك.. كلمة طيبة تقولها لأخيك فتنفس عنه هذه الكربة، وترفع

ما به من ضيقٍ وشدة، فينفس الله تبارك وتعالى عنك كربةً من كرب يوم القيامة، وما أدراك ما كُرب يوم القيامة.

ثم قال الرسول -ﷺ-: «ومَنْ يَسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ»:

المعسر هو من عليه حقٌ لغيره لا يستطيع أداءه. فمن أعان المعُسر بقضاء الدين عليه، أو كلم صاحب الدين بأن ينظرهُ ويمهلهُ مزيدًا من الوقت، أو مثلًا أعطاه نصيبًا من المال، أو كَلم صاحب الدين فأنقص له القيمة، فإن هذا قد وعده الله بأن ييسر عليه في الدنيا والآخرة، وهذا يعني فضلٌ عظيم، وأجرٌ مهم في الدنيا والآخرة، لمن تدبره، وأراد العمل بهذا الحديث.

قد يكون مثلًا إنسان استصعب عليه أمرٌ من أمور الدنيا، فأراد من الله بتارك وتعالى أن ييسره عليه. فبإمكانه العمل بهذا الحديث، فينظر مثلًا إنسانًا معسرًا فيُيسر عيه بما ذكرنا، ويرجو من الله تبارك وتعالى أن يُيسر عليه أمره بهذا العمل الصالح الذي قام به وقد مّر معنا في حديث "إنما الأعمال" الحديث الأول، أن العمل إذا رتب عليه الشارع أجرًا دنيويًا، وأجرًا أخرويًا، فلا بأس للإنسان بأن يقصد كلا الأجرين بعمله.

ثم قال النبي -ﷺ-: «ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ».

السِّتر على المسلم من فضائل الأعمال وجميل الخصال، فمن علم من أخيه الوقوع في شيءٍ من المعاصي والآثام، فالواجب عليه سترهُ ونصحهُ فيما بينه وبين أخيه، لأن هذا من أسباب قبول الحق، وإعانةٌ له على ترك ما هو فيه من المنكر، أما إن كان الأمر إجرامًا، ومما لا ينبغي سترهُ، فهنا وجب التبليغ عنه للجهات الرسمية، إن لم يكن فيه مفسدة على هذا الإنسان، يعني إن عُلم أمره، يعني قد يؤذى من طرف هؤلاء الناس، ولكن التبليغ عنه لابد منه؛ حتى يُزجر ويكف أذاه، ويكف هو عن فساده وإفساده.

ومما يدخل أيضًا في هذا: التحدث بما قد يقع من بعض الفسقة، ونشر ذلك في الصحف ووسائل التواصل، فهذا مُنكر يجب الكف عنه، تجد بعض من يسمَون دعاةً، وهم في الحقيقة جُهال، تجدهم حتى يعظون الناس، يذكرون بعض ما يحدث من أصحاب الفسق والمعاصي، من شُرب الخمر، أو من زنا، أو غير ذلك.. وكذلك كثُرت هذه الأمور، في وسائل التواصل، يذكرون ما يحصل من بعض الزناة، أو ما يحصل من أمور كهذه، يذكرونها لأي غرض من الأغراض، فهذا لا يجوز، والواجب ستر مِثل هذه الأمور؛ لأنها نشر مثل هذه الأمور، داخلٌ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النور:19]، فنشر مثل هذه الأمور من إشاعة الفاحشة، في الذين آمنوا، ومن محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

ثم قال النبي -ﷺ-: «واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ».

من كان في عون أخيه، وسعى معه في حاجته، وفي أموره، فإن الله يعينه وييسر له أمره، ويجزيه خيرًا على هذه الإعانة.

وقال: «ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ».

هذا فيه الحث على طلب العلم الشرعي، وأن السعي في تحصيلهِ سببٌ من أسباب تسهيل الطريق إلى الجنة، ويدخل في قوله: «ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا». يعني كل ما يحصل به طلب العلم، سواءكان اقتناء الكتب، أو قراءتها، أو الاستماع إلى الأشرطة، أو سماع المحاضرات عبر الإنترنت، أو حضور حِلق العلم في المساجد، وغيرها من الأماكن إلى غير ذلك، كل هذا يدخل في سلوك طريق العلم.

ثم قال: «وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

بيوت الله هي المساجد، يعني وإضافتها إلى الله إضافة تشريف.

وقوله: «وما اجْتَمَعَ فيها قومٌ».

القوم هم المجموعة من الناس، يجتمعون فيها لتلاوة كتاب الله، أو لتدبره، أو لتدارسه، إلا حصل من الخير ما هو مذكورٌ هنا، من نزول السكينة، والسكينة هي الطمأنينة، وسكون النفس.

قال: «وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ».

ومعناها أن رحمة الله تبارك وتعالى تكتنفهم من كل جهةٍ، وتكون كالغشاء لهم.

قال: «وحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ».

يعني أحاطت بهم من كل جهة، فلا منفذ للشيطان إليهم، وهم على تلك الحال.

قال: «وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

والمقصود بقوله: «فِيمَنْ عِنْدَهُ». هم الملائكة المقربون، فيثني عليهم بما هم له أهلٌ، وهذا فضلٌ عظيم، وأجرٌ جزيل، لهذا العمل الذي قد يغفل أو يتغافل عنه الناس.

ثم قال -ﷺ-: «ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

فيه أن التقوى والعمل الصالح هي جِماع الأمر، وأنها سبب لدخول الجنة، وهي التي ترفع درجات العبد عند الله تبارك وتعالى، كما قلنا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13].

«ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ». ولم يبلغ الدرجات العلا عند الله تبارك وتعالى، فإن نسبه أو كونه من بني فلان، أو فلان، أو علان، يعني لا ينفعه، ولن يُغني عنه عند الله شيئًا.

نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون من ذوي الدرجات العالية الرفيعة عند الله.

الحديث السابع والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي -رحمه الله-: **عن ابن عباسٍ رضي الله، عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال:** «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إِلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، إِلى أَضْعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ سَيِّئَةً واحِدَةً»، **رواه البخاري ومُسلمٍ في صحيحيهما بهذه الحروف.**

(الشرح)

جاء في الحديث قوله: "**فيما يرويه عن ربه**"، قال: (**عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه**)، فهذا الحديث حديثٌ قدسي، وقد سبق لنا بيان الفرق بينه وبين الحديث النبوي.

فيه بيان سعة تفضل الله علينا، حيث أنه يضاعف الحسنات، ويكتب لمن هم بالحسنة ولم يعملها حسنةً كاملة، خلافًا لمن يعمل السيئة، فإنها تكتب له واحدة ولا يزيد عليها، فإنها يعني تُكتب واحدةً، السيئة تُكتب سيئةً واحدةً ولا تضاعف، ولا تُكتب أصلًا لمن همَّ بفعلها ولم يفعلها، لكن في المسألة تفصيلٌ لابد من ذكره، بالنسبة لمن هم بالسيئة ولم يفعلها.

<u>فالناس في هذه يعني في هذا الأمر ثلاثة أقسام:</u>

1. **قسمٌ**: حاول فعل المعصية وسعى إليها، لكنه لم يتمكن منها ومن فعلها، لسبب خارج عن إرادته، فهذا تكتب عليه سيئةً كاملة، والدليل قوله -ﷺ-: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».

2. **القسم الثاني**: هو من همَّ بالسيئةٍ، ثم عزف عنها؛ لأن نفسه نفرت منها ولم تردها، فهذا الصِنف لا تكتب عليه لا سيئةً ولا حسنة.

3. **والقسم الثالث**: وهم من همَّ بالسيئة وأراد فعلها، ثم تركها يعني خشيةً من الله تبارك وتعالى خوفًا من عقابه، فهؤلاء هم الذين تُكتب لهم حسنةً كاملة.

وكما قلنا هذا الحديث فيه بيان سعة فضل الله تبارك وتعالى وتفضله علينا، ترى أن الله تبارك وتعالى يكتب لمن عمل حسنةً أضعافها، لا يكتبها له حسنةً واحدة، بل يضاعفها من عشرة إلى سبعمائة ضعف، إلى أكثر من ذلك، فليحرص الإنسان على الحسنات، وخاصةً تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى، فإن فيه أجرًا عظيمًا.

الحديث الثامن والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي –رحمه الله-: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»، رواه البخاري.

(الشرح)

هذا الحديث أيضًا حديثٌ قدسي، وقال العلماء: "أنه أشرف حديثٍ في أوصاف الأولياء، وفضلهم، ومقاماتهم".

أخبر فيه سبحانه وتعالى: أن معاداة أوليائه معاداةٌ له، وكذا محاربتهم محاربةٌ له، فكيف يفكر بعد هذا عاقلٌ في معاداة ومحاربة ولي من أولياء الله؟ هذا حقيقة أمره أنه مخذول وغير موفق.

ولا شك -وفقني الله وإياكم للحق- أن العلماء العاملين من أولياء الله تبارك وتعالى، فمن تعرض لهم بالسب، والشتم، والقدح، والتبديع، والتحذير، فهو داخلٌ في هذا الحديث، هذا لاشك فيه.

وكم رأينا من الذين ناوؤوهم، وعادوهم، وطعنوا فيهم، ما حل بهم من زيغٍ وانحرافٍ، وسوء القول، وعدم التوفيق للحق، فليحذر الإنسان من هذا المزلق الخطير، العلماء لا شك أنهم من أولياء الله تبارك وتعالى، فالواجب أن يعاملهم الإنسان معاملةً شرعية، يعني هذا كان قوس أردت التنبيه عليه.

الولي عند أهل السنة والجماعة، هو كل مؤمنٍ تقي، الولي هو كل مؤمنٍ تقي، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(62)الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(63)﴾[يونس62-63]، فهؤلاء هم أولياء الله تبارك وتعالى.

وذكر الله تعالى في هذا الحديث صفاتهم الكاملة، وهي أنهم يقومون بالفرائض أولًا، ثم يقومون بالنوافل، يعني أنهم يقدمون الفرائض على النوافل، لكنهم يقومون بهم جميعًا، فيحصل لهم بذلك ما حصل محبة الله وولايته لهم.

ونتيجة ذلك: أنه يُسهل لهم كل طريقٍ يوصل إلى رضاه، لذلك قال في الحديث: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ»، هذا معناه أن الله تبارك وتعالى يُسدده في سمعه فلا يسمع إلا خيرًا، وليس معناه أن الله يكون سمع الإنسان، لا أبدًا ليس ذلك، معناه أن الله تبارك وتعالى يسدده في سمعه، فلا يسمع إلا خيرًا، وكذلك في بصره فلا يبصر إلا خيرًا، ويوفقه في كل ما يرى، وهكذا...

ومع كل: هذا التوفيق، والسداد، والتسديد لهم في كل حركةٍ من الحركات التي يقومون بها، زاد على ذلك بأن جعلهم مستجابي الدعوة،

قال: «وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»،

فإن سألوه شيئًا أعطاهم إياه، وإن استعاذوا به من شرٍ أعاذهم منهم سبحانه وتعالى.

فأي نصرٍ وتأييدٍ وتسديدٍ يرجوه المسلم بعد هذا، فمن أراد أن يكون وليًا لله فعليه أن يكون مؤمنًا بالله، وأن يكون تقيًا، عليه أن يكون مؤمنًا تقيًا، وهذا لابد له من صبرٍ، ولابد له من علمٍ، ولابد له من عملٍ، ولابد له قبل ذلك كله من توفيق من الله تبارك وتعالى، أن يسأل العبد الله تبارك وتعالى أن يكون من أوليائه، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا منهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

سبحانك اللهم بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،

أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس السادس عشر من شرح "الأربعين النووية"

الدرس رقم (16) التاريخ: السبت **1440/06/25 هـ** **02/آذار/2019 م**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فدرسنا الليلة إن شاء الله تعالى هو **الدرس السادس عشر والأخير** إن شاء الله من دروس شرح الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله.

الحديث التاسع والثلاثون

(المتن)

قال رحمه الله: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما).

هذا الحديث ضعيف لا يصح، روي من طرق عدة لكنها لا تثبت، وقد أنكرها -أي هذه الطرق- الإمام أحمد وأبو حاتم الرازي رحمهما الله،

وأصح طريق روي منها هي طريق الحسن عن النبي ﷺ أي أنه حديث مرسل، والمرسل كما قال الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه: المرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة، فالحديث ضعيفٌ لا يصح، لكن لا بأس بشرحه ما دام أن النصوص الشرعية جاءت بصحة ما فيه.

معنى الحديث الإجمالي: هو أن الله تبارك وتعالى قد تجاوز عن هذه الأمة، ونعني بالأمة القوم الذين أجابوا دعوة النبي ﷺ ودخلوا في الإسلام وآمنوا به صلوات الله وسلامه عليه، وهذا ما يسمى بأمة الإجابة، تجاوز أي عفا عنهم في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: هو **الخطأ**، والخطأ هو فعل الشيء من غير قصد.

الأمر الثاني: هو **النسيان**، وهو ذهول القلب عن شيء معلوم.

والأمر الثالث: هو **الإكراه**، والإكراه هو إلجاء الإنسان إلى قولٍ أو فعل وإرغامه عليه.

ومعنى عفا عنهم في هذه الثلاث أي أن الإثم مرفوعٌ عنهم فيها،

وقد دل على ذه نصوص كثيرة منها قوله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:286]، فقال الله تعالى: قد فعلت، وجاء هذا في حديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الإمام مسلم.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:5]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:106]، والنصوص كثيرة في إثبات رفع الإثم عن هذه الأمة في هذه الأمور الثلاثة المذكورة.

لكن ثمة تنبيه وهو أن الفعل الصادر من الإنسان في حق غيره ولو كان حاصلاً عن طريق الخطأ أو النسيان أو بالإكراه، فإن حق الغير لا يسقط عن الإنسان، أي عن مرتكب الفعل، الذي يسقط هو الإثم لأن الله عفا عنا في هذه الأمور، لكن ضمان المتلفات، إذا أتلف الإنسان مال غيره عن طريق الخطأ أو مثلاً تسبب في قتل شخص آخر عن طريق الخطأ مثلاً، فحق الغير لا يسقط، فيجب القصاص وكذلك ضمان المتلفات في هذه الحالات والله أعلم.

الحديث الأربعون

- المتن-

ثم قال النووي رحمه الله: (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رسولُ اللَّه ﷺ بِمَنْكِبِي فقال :كُنْ فِي الدُّنيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ.

وَكَانَ ابنُ عمرَ رضي اللَّه عنهما يقول: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حياتِك لِمَوتِكَ» رواه البخاري.)

هذا الحديث من الأحاديث التي فيها وصية النبي ﷺ لأصحابه، والوصية كما قلنا لا بد من حفظها والعمل بها؛ لأنها تكون في أمرٍ مهم.

أوصى النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما بأن يكون في هذه الحياة كالغريب أو كعابر السبيل،

والغريب معروف أنه من يأتي إلى بلد غير بلده لقضاء حاجته ثم يعود إلى دياره،

وعابر السبيل هو من يمر بالبلاد مرورًا دون إقامة، يعني إلى أن ينتهي من سفره، فيجتمع في الشخصين -في الغريب وعابر السبيل- أن أصحابهما لا ينويان الإقامة في البلد الذي حل بها، ومن لا ينوي الإقامة لا يعد لها العدة ولا ينشغل بها، بل يكون همه قضاء حاجته التي من أجلها سافر أو عبر البلاد، كذلك المرء المسلم يعلم أن الآخرة هي دار القرار والدنيا ممر يمر به الإنسان، فالعاقل يعد العدة لدار

القرار ولا يعبأ بالمر، بخلاف من حرم التوفيق فإنه منشغلٌ بالدنيا ناسٍ أمر الآخرة، وكأنه خلق من أجل الدنيا، وهذا مشاهدٌ خصوصًا في زماننا تجد الكثيرين بالهم منشغلٌ بالدنيا فقط، ويعد لها ويتهيأ لها وكأنه خلق لها، وفي نفس الوقت تجده ناسيًا أمر الآخرة فتجده يعني يضيع ما أمر الله به ويرتكب ما نهى الله تبارك وتعالى عنه، ولا يرفع رأسًا بذلك.

لكن إن سألته ونظرت إلى حاله مع أمور الدنيا تجده مهتمًا بها غاية الاهتمام، وإن لم يوفق لفعل شيء يفتخر به أهل الدنيا، تجده منشغل البال ومهمومًا بذلك الشيء وكأنه بفواته انتهى أمره، فالعاقل والموفق الذي وفقه الله تبارك وتعالى يكون جلَّ همه الآخرة، ولكنه في نفس الوقت لا ينسى نصيبه من الدنيا، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:77]، فالإنسان يهتم بأمر آخرته ويتعلم ما ينجيه في آخرته وما يكون به فلاحه في الآخرة، وفي نفس الوقت يأخذ ما يحتاجه من هذه الدنيا وما يكون به قوامه، وما يتقوى به على أمر آخرته.

وابن عمر رضي الله عنهما كان يوصي بمقتضى هذه الوصية، فكان يقول يعني كما جاء في الحديث **«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حياتِك لِمَوتِكَ»** ، فابن عمر عمل بوصية النبي ﷺ وكان يوصي بها من بعده، وكان يوصي بها الذين هم حوله، فكان يقول لهم **«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ»**، يعني اغتنم وقتك، إذا همّت نفسك بفعل الطاعة فلا تسوف ولا تقول سوف أفعلها أو دع دع، سأفعلها في الصباح إذا كنت في المساء أو سأفعلها في المساء إذا كنت في الصباح لا، بل كما قيل: **إذا همت رياح الخير فاغتنمها، فخيرٌ من إضاعتها السكون**

أو كما جاء في البيت الشعري، فإذا هبت رياح الخير فاغتنمها يا أخي،

إذا حدثتك نفسك بقيام الليل فاغتنم هذه الإرادة التي جاءتك وقم الليل،

إذا حدثتك نفسك بالصيام صم، إذا حدثتك نفسك بحفظ كتاب الله تبارك وتعالى فافعل ولا تسوف، ولا تقل سأفعل،

نحن الذي يضيع علينا وقتنا من غير وقتنا هو التسويف، سأفعل كذا سأفعل كذا، هذا هو الذي يضيع على الإنسان وقته ويضيع على الإنسان جهده،

وكذلك الإنسان إذا كان واقعًا في معاصي وأراد أن يتوب منها فليتب من حينه ولا يقل سأنتظر، مثلاً شخص يكون لا يصلي ويريد أن يبدأ الصلاة فيقول سأنتظر يوم الجمعة وأبدأ الصلاة، لا، إذا كنت تاركا للصلاة -وهذا أمر خطير جدًا- وحدثتك نفسك أو جاء شخص ينصحك بالصلاة فابدأ من حينك، توضأ من حينك، إذا لم تكن على طهارة فتطهر وابدأ من حينك بالصلاة.

وكذلك الإنسان إذا كان مثلاً يدخن وأراد أن يتوقف من التدخين فليتوقف من حينه، ولا يقول

أنتظر رمضان وفي رمضان أكون صائمًا ويساعدني هذا على التوقف من التدخين، لا، توقف من دقيقتك، الإنسان لا يسوف، الخير افعله متى همت نفسك به وانشرح صدرك له، والإنسان لا بد أن يكون دائمًا حذرًا من الموت، ملك الموت قد يأتي في أي حين ويقبض روحك، فإذا حدثتك نفسك بالمعصية فتذكر أنك قد تموت على تلك المعصية، وكذلك إذا أردت أن تفعل طاعة فاغتنم ذلك الوقت وقل قد يأتي الموت ولا أتمكن من فعل هذه الطاعة، أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لما فيه الخير.

الحديث الحادي والأربعون

المتن

ثم قال النووي رحمه الله تعالى: (عن أبي محمدٍ عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»؛ حديثٌ حسنٌ صحيح، رويناه في (كتاب الحجة) بإسنادٍ صحيحٍ.)

قال ابن رجب رحمه الله: تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جدًا، وذكر رحمه الله في شرحه على الأربعين أوجه ضعف هذا الحديث، والحديث ضعيف كما قال ابن رجب رحمه الله.

هذا الحديث نظيره قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65]، ومعناه أن الإيمان الكامل لا يحصل حتى يقدم المرء طاعة الله وطاعة رسوله على هواه، حتى يقدم طاعة الله وطاعة رسوله على هواه إن كان مخالفًا لهما، وهذا هو الواجب، الواجب أن تحب الله تبارك وتعالى ورسوله أكثر من محبتك لنفسك، وبهذه المحبة إذا تعارض ما أمرك به الله تبارك وتعالى وأمرك به رسوله ﷺ مع هواك ومع ما تريد أنت فعله، فإنك ستقدم أمر الله ورسوله على هواك؛ لأنك تحبهما أكثر من محبتك لنفسك، وحينئذٍ تستكمل الإيمان.

الحديث الثاني والأربعون

المتن

ثم قال النووي رحمه الله: (عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَتُشْرِك بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيْثٌ حَسَنٌ صحيح).

قال ابن دقيق رحمه الله: في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرأفة والرحمة والامتنان، **انتهى كلامه رحمه الله.**

وهو حقٌ وهو كما قال رحمه الله.

قوله تبارك وتعالى: «إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِيْ وَرَجَوتَنِيْ»

معناه أنك متى سألتني المغرفة ورجوت مني أن أغفر لك، فسأغفر لك ذنوبك مهما كانت، لكن لا بد أن ننبه إلى أن الكبائر لا بد لها من توبة، والتوبة لها شروط:

- أولها: الإقلاع عن المعصية، فلا تنفع توبة وأنت واقع في المعصية، لا بد من الإقلاع عنها.
- الشرط الثاني: الندم على ما فات، أن يندم الإنسان على ما فعله من معصية.
- الأمر الثالث: أن يعزم على ألا يعود إليها، لا بد أن يعزم الإنسان وأن يكون جادًا في عدم العودة إلى المعصية، وهذا هو الشرط الثالث.
- الشرط الرابع: هو إن كان هذا الذنب وهذه المعصية تتعلق بحق آدمي، فلا بد من أدائه والتحلل منه، إذا سرقت شيئًا من شخص وتريد التوبة فلا بد من إعادة هذا المسروق لهذا الإنسان مثلاً مع الشروط الثلاثة السابقة.

ثم قال تبارك وتعالى: **«يَا ابْنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ»**

أي ما ظهر من السماء، لو بلغت ما ظهر من السماء لكثرتها ثم استغفرت الله تبارك وتعالى لغفر لك، فانظر أخي إلى سعة رحمة الله وعظيم مغفرته، وهذا مما يزيد الإنسان محبةً لله تبارك وتعالى؛ لأنه سبحانه أمرنا بطاعته ومع ذلك عصيناه ثم طلبنا منه المغفرة فغفر لنا، فأي فضل وأي رحمة هاته.

لذلك يظهر لنا أن الإنسان لا بد دائمًا أن يكون لسانه رطبًا بالاستغفار، لا بد للإنسان أن يكثر من الاستغفار كما كان النبي ﷺ، النبي ﷺ كان يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة، فالإنسان لا بد أن يعود لسانه على الاستغفار، وأنت تمشي في الطريق ذاهب إلى أمورك استغفر الله، إذا كنت جالس في الطابور وتنظر شيئًا ما استغفر الله، إذا كنت مثلاً تقوم بعمل ما فاستغفر الله تبارك وتعالى.

ثم قال تبارك وتعالى: **«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لاَتُشْرِك بِيْ شَيْئَاً لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً»**

وهذا فيه فضيلة التوحيد وأنه سببٌ لتكفير الذنوب مهما كثرت، يعني لو بلغت ذنوبك قراب الأرض، ثم لقيت الله تبارك وتعالى لا تشرك به شيئًا لغفر لك سبحانه وتعالى، وهذا فيه فضل التوحيد، وأن حسنة التوحيد حسنةٌ عظيمة جدًا لا تدانيها حسنة، يعني ولا يقابلها ذنب إلا غفره الله تبارك وتعالى، **وكما نبهنا أن الكبائر لا بد لها من توبة حتى تغفر**، فالإنسان لا بد أن يحرص على توحيد الله تبارك

وتعالى، ويحرص على تعلم التوحيد وتعلم ما يضاده من الشرك حتى لا يقع فيه، فلا يكفي تعلم التوحيد فقط بل لا بد أن يتعلم الإنسان التوحيد ويتعلم الشرك حتى يجتنبه،

فمن لا يعرف الشرك قد يقع فيه.

النووي رحمه الله ختم لنا بهذا الحديث حتى يبين لنا سعة فضل الله تبارك وتعالى ورحمته، وكذلك يبين لنا أهمية التوحيد وأهمية الإخلاص لله تبارك وتعالى وأنه سببٌ لمغفرة الذنوب.

وبهذا نكون قد انتهينا من هذا الشرح المختصر للأربعين النووية،

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بهذا الشرح، ونحمده سبحانه أن وفقنا لإنهائه وإتمامه، ونسأله سبحانه أن يوفقنا للعمل بما تعلمناه،

فاللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمن استمع لشرحنا هذا وتجاوز عنا، واجعلنا مع الصديقين والشهداء والصالحين،

وصلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.